

المهذب

في محاسن اللغة العربية ، وخصائصها
وما في
القرآن الكريم من المعرب

تأليف

الدكتور/ عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد
كلية آداب قنا - جامعة أسيوط - (سابقا)
عميد معهد عال (سابقا)

الناشر
المكتبة الأزهرية للتراث
9 درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر الشريف
ت : ٥١٢٠٨٤٧

الطبعة الأولى

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الذى اصطفى رسوله الكريم ، ورفع قدره ، وجعله سيِّد الخلق أجمعين ، وخاتم الأنبياء ، والمرسلين ، أرسله إلى العالَمين ، وجعله الرحمة المهداة إلى كافة الخلق بلسان عربىّ ، مُبين ، وأنزل عليه الذكر الحكيم ، ليبيِّن للناس ما أنزل إليهم بلسانه العربى العظيم ، وآتاه جوامع الكلم ، وشرّف به لغته ، فحفظها ، مَازَهَا بخصائص ، بها شمت ، وبها حفظت ، وجعل شريعته الخاتمة التى لا تنسخ ، وعلَّمه ما لم يكن يعلم ، وأدبه ، فأحسن تأديبه ...

والصلاة ، والسلام على أشرف المرسلين : سيدنا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

وبعد

فإن اللغة العربية أشرف اللغات قدرًا ، وأسماها منزلةً ، وأعلاها كعباً ، حُفظت بحفظ الكتاب المنزَّل ، على النبى العظيم المرسل ، وهى لغة أهل الخلود فى دار الكرامة ، والرّضوان ...

وعلى مقدار ما منحها الله تعالى ، الذى يزيد فى الخلق ما شاء من الخصائص الذاتية ، التى أكسبتها العظمة ، والخلود ، كان أعداؤها ، الذين كمن يَقْدَحُون زناداً فى ضوء الشمس ، ويُثيرون غُبارًا ، تذوره الرياح ، ويبقى للغة بريقُها ، وضياؤها ، ولمعانها ، وتوهّجُهَا ، إلى يوم الدين ، ثم تخلد بعد ذلك ، مع الخالدين ، فى جنات النعيم ...

وقد أيقظ حسىِّ ما أرَى ، وأسمع من محاولات يائسة ،تغض من شأن اللغة ، ولا تفيها قَدْرَهَا من الجلال ، والتكريم : من أهلها ، وغير أهلها ...

وقد دفعتنى الغيرة على لغة الكتاب ، والسنة ، وفكرت ، وقدَّرت فى أن أعمل شيئا ، يفتح البصائر إلى النظر فى جمال هذه اللغة ، ويعود بنا إلى التعرف على خصائصها الذاتية ، وعلى رعاية الله لها فى مختلف الأزمنة ، والزُهُو حتى تَعَى كتاب الله ، كتاب الحياة الحقة ، وكتاب الأحياء المثاليين ، كما وعت سنة خير خلقه ، وأعظم رسله ، ووعت العلوم الواسعة لما جاء فى التنزيل الحكيم ، وفى السنة المطهرة ، ولم تبخل ، ولم تتأب عن الأخذ ، والعطاء شأن الشيد العظيم القدر ،

الجليل الأثر ، فذكرت قُلاًّ من كُثْرٍ عن نشأة اللغة ، ومزاياها ، وخصائصها ، وما منحها الكتاب المنزل ، والسنة الشريفة ، وما أودع بها من الخصائص ، التى منحتها الخلود . . .

وجعلت مسك الختام عظمتها فى فتح قلبها لما جاورها ، وعايشها من لغات الأمم : أخذًا ، وعطاءً ، وما اتسع الذكر الحكيم له من كلمات من لغات أخرى ، مع التفسير الموجز ، والإشـارة المختصرة ؛ لأفتح بذلك البـاب لكل طامح ، ومستزيد . . .

ولعلنى بذلك : أكون قد أرحت ضميرى ، وأرضيت ربِّى ، وقدمت صُوًى على الطريق لمن أراد المزيد ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ، ﴿ وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت ، وإليه أنيب ﴾ .

د.عبد الحميد السيد عبد الحميد
كلية آداب قنا - جامعة أسيوط (سابقا)
عميد معهد عال (سابقا) .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحَمدُ للَّه الَّذى هَدَانَا لِهَذَا وَمَاكُنَّا لنَهتَدىَ لَولاَ أن هَدَانَا اللهُ ﴾[1] والصلاة والسلام على أعظم الأنبياء ، وأشرف المرسلين ، وخير خلْق الله أجمعين ، النبىّ العربّى ، المُرسَل بلسان عَرَبّى ، مُبِين ، الذى اختصه الله تعالى ﴿ الذى أدَّبه ، فأحْسَن تاديبه ﴾ بجَوامع الكلْم ، فصار أفصح الفصحاء ، وأبلغَ البُلَغاء ... والذى أمرنا بأن نُرشدَ الضّالّ ، وأن نردَّ اللاحن إلى حظيرة الصواب ... وعلى آله وأصحابه ، ومن تمسَّك بسنته ، وأتَمَر بأمره ، واتبع النور الذى أُنزِل إليه .... إلى يَوْم الدِّين .

* * *

(١) من الآية ٤٣ من سورة الأعراف .

الفصل الأول

مقدمة

كان الله ، ولا شيء قبله ، وكان عرشُه على الماء ، كان كنزًا مخْفيًّا ، فأراد أن يُعْرَف ، فخلق نورَ سيّدنا محمد ، ومنْه خُلقت الكائنات . . .

فبه عُرِف ، وقد قبض باسمه القابض قبضة ، ثم بسطها باسمه الباسط ، فكانت عمارة الكون ، ولن يزال الكون يتسع بقوة بسطته ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾[1] . أى بقوة قادرة ، وقدرة لا حدود لها ، ولن تزال التوسعة ، وقد لزم كل جرم مكانه ، بقوة البسطة ، وعامل الجاذبية ، وفَتَق السماوات ، والأرض بعد التحامهما ، وبعد أن كانتاَ رتْقًا ، بقوة الدوران ، وقدرة القدير . . .

وخلق الملائكة من نور ، والملائكةُ مظهرٌ من مظاهر الربوبِّية المنعمة ، والألوهية القادرة ، يُسبِّحُون بَحمْده ، لا يَفتُرون ﴿ لاَّ يَعصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُم وَيَفعَلُونَ مَا يُؤمَرُونَ ﴾[2] .

وخلق الجنَّ من مارجٍ من نَار . . .

وأراد أن يجعل فى الأرض خليفةً : يخلفه فى إقامة الحقّ ، ونَشْرِ الْعَدل ، وتأصيل الإخاء ، والمساواة ، وعمارة الأرض على الخير ، وللخير . . .

خلق آدم من : تُراب ، فطين ، فحَمأ مَسْنُون ، فَصَلْصَال ، ولم يكن شيئا مذكورًا ، وإنما كان مقدُودًا ، مملَّسًا ، مسوًّى ، محسَّنًا ، لا تدرى الملائكــة ما يُرادُ به ، ثم نفخ فيه من روحه ، فصار بشرًا ، وصار كاملا ، وأصبح مستودَعًا للمعارف وللعلوم ، والفنون ، وشتَّى الثقافات .

وقد **اختصه بالنطق** ، وخلق له جهازًا صَوْتيًا ، مَرِنًا ، ينطق بأكثر من مقطع للكلمة . . . بخلاف المخلوقات الأخرى ، التى لم تمنح ذلك .

(١) من الآية ٤٧ من سورة الذاريات .

(٢) من الآية ٦ من سورة التحريم .

ومن ذلك : علم أن الرَّحمن خلق الإنسـان ، وخصّه بالنطق ، وعلمه البيـان ... ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ ﴾[1] .

والبيان فى طبائع الأشياء : إنما يأتى من : أُذن تسمع ، وعقل يترجم الرمز ، والسماع إلى مدرَك ، ومعْقُول ، ومفهوم ... ومن لسان يحاكى ما يسمع ، وينطق كما سمع ...

ومن ذلك : نرى فى الكون أن الأصم الذى لا يسمع ، لا يتكلم ؛ لأن الكلام محاكاة ، وآلة السمع مفقودة ، فكذلك جهاز النطق يتعطل ، ويقف اللسان ، ولا يؤدى وظيفته الكلامية ...

ولما كان آدم أول خليفة لرب العزة فى أرضه ، وقد خلقه بيديْه ، وجعل منه زَوْجَه حواء ﴿ وَبَثَّ منهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾[2] .

ولم يسمع آدم حتى يحاكى السماع ، ويستخدم جهَازَ النُّطق ، ويهيىء الكلام فى القلب ، ويترجم عنه اللسان ، أو القلم : « إذا القلمَ استعدُ أحد اللسانين » .

وهنا تأتى قدرة القدير ، وعظمة الحكيم ، فيعلمه الأسماء كلها ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الأَسمَاءَ كُلَّهَا ﴾[3] .

وذلك : لأن الإنسان إنما خلق لتلقى علوم السماء ، وللاتصال بها عن طريق المعصومين من الرسل ، الذين يبلغون عن الله (عز وجل) .

وكان تعليم الله تعالى لآدم الأسماء كلها لمهام كُبْرى ، ومنافع عُظْمَى ، منها :

١ - **التعليم المباشر** عن الله تعالى ، إذ لا مُعلِّم فى الكون ، ولاناطق فيقلِّد سماعاً ، ونطقا ، وذلك فى إطاره ﴿ لَيسَ كَمله شَىءٌ وَهُوَ السَّميعُ البَصيرُ ﴾[4] .

٢ - ومن أجل أن تسمع حوَّاء من آدَمَ ، فتقلده نطقا ، ويتم الاتصال اللُّغَوىّ بينهما ...

٣ - لتكون حواء المعلمة الأولى لأولادها ، مع مباشرتها مهمتها الأولى : السكن للزوج ، المودة ، والرحمة ، تزبية البنين ، والبنات ...

٤ - آدم وحواء ضيفان جديدان على مائدة أعدها ربّ السماء : الأرض ، وما

---

(١) الآيتان ٢ ، ٣ من سورة الرحمن .

(٢) من الآية ١ من سورة النساء .

(٣) من الآية ٢١ من سورة البقرة .

(٤) من الآية ١١ من سورة الشورى .

فيهـا ، وما عليها ، وما يحيا على ظهرها ، وما تنبت من جنىً ، ومن كل زوج بهيج ، . . .

كل ذلك : لا إلف لآدم به ، ولا معرفة ، ولا طريقة انتفاع ، واستخدام ، فاقتضت حكمة الحكيم أن يعلمه أسماءَ الموجودات على المائدة الكبيرة الأرض : أسماء الأشياء ، وطرائق الانتفاع بها ، وتحويلها إلى إلى مطعُوم ، ومشروُب ، وملبُوس ، ومسكُون . . . وغير ذلك ، مما به قوام الحياة البشرية على الأرض .

بهذا عُلم : أن الله تعالى خلق الإنسان ، وعلَّمه البيان ، لمعرفته الحقة عن طريق الرسل المعصومين ، وليتم التخاطب ، والتفاهم ، والالتقاء ، اللُّغَوِىّ . . .

ولعلّ فى ذلك : الإيماء إلى أن العلم هو الميدان الحقيقى ، للتفوق البشرى ، والارتقاء إلى أعلى مراتب السموّ ، والترقّى فى مدارج الكمال . . . .

والعلم علمان :

أحدهما : يتصل بمعرفة الخالق المنعم ، لعبادته حق العبادة عن حب ، وإقبال ، واقتناع ، وعبودية مخلصة ، وما يتصل بذلك من النواحى الإيمانية الأخرى ، التى بها تتم منزلة الإنسان عند ربه . . . .

وثانيهما : ما يتصل بعمارة الكون ، الذى استَعَمَرنَا الله تعالى فيه ، أي : طلب منا أن نعمره ، للإفادة من كل ذرة تراب ، وحبَّة رمْل ، وقطرة ماء ، وذرَّة هواء ؛ لأنه تعالى خلق لنا ما فى السماوات ، وما فى الأرض جميعاً منه ، وسخر لنـا الجامح ، وذلَّل لنا الشَّامسَ ، وقرَّب منا الشاردَ ، وطوَّع لنا العَصِىّ ، . . .

وفتح لنا خزائن رحمته بالعلم - بتقدير دقيق ، ووزن محكَم ﴿ وَإِن مِن شَىْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعلُومٍ ﴾(١) .

هذا العلم : كان ميدان الإكبار فى السَّماء ، فقد قالت الملائكة عن قضية الاستخلاف فى الأرض ﴿ أَتَجعَلُ فيهَا مَن يُفسدُ فيهَا وَيَسفكُ الدِّمَاءَ وَنَحنُ نُسَبِّحُ بحَمدكَ ﴾(٢)؟ إرادَةً من الملائكة أن تستأثر بالعَبوُدِّية لله ، وأن تَحْظَى بالرِّضَا ، والرِّضْوَان . . فجاء الرد الحاسم من العليم الخبير : ﴿ إِنِّى أَعلَمُ مَالاَ تَعلَمُونَ ﴾(٣) .

---

(١) الآية ٢١ من سورة الحجر .

(٢) من الآية ٣٠ من سورة البقرة .

(٣) من الآية ٣٠ من سورة البقرة .

ثم جاء البرهان العملى ، والدليل القطعىّ ، وهو : أن ما ظننتم أن يكون منه ما يكون إنما هو مستوع لعلمى ، ومعرفتى ، ومحصل للثقافات ، ومبدع فيها ٠٠٠

قال رب العزة لملائكته الكرام - بعد أن علَّم آدم الأسماء كلها : ﴿ أَنبِئُونِى بِأَسمَاءِ هَؤُلاَءِ ﴾[1].

فقالت الملائكة - فى أدب ، وخشوع ، وخضوع ، واستحياء ٠٠ ﴿ لاَ عِلمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمتَنَا ﴾[2].

وكانت المقولة الصادقة المقَّرة ، المعترفة ، فما أوتينا من العلم إلا قليلا ، وأوتينا العلم من ربِّنا ، إذ لا علْمَ إلا علْمه ٠٠٠

وهنا : برزت مزية آدم ، خلق للمعرفة ، وللعبودة ، وعُلِّم البيان ، وعرف الأسماء كلها ٠٠ بما أنعم الله تعالى عليه ٠٠

وترتب على هذا الموقف : الأمر الإلهى ، الصادر للملائكة بالسجود لآدم ، وفى ذلك تقرير مبين : على أن محال التفوق ، والعظمة إنما يكون للعلم ، لا لأصل الخلفة - كما زعم اللَّعين : إبليس ، فقد أبى أن يسجد لآدم ، وقال فى وقاحة ، ومكابرة ﴿ أَنَاْ خَيرٌ مِّنهُ خَلَقتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقتَهُ مِن طِينٍ ﴾[3].

زاعماً : أن النار تأكل الطين ، والطين يقوى بها عند الحرق بالنار ٠٠٠

ولذلك : قال قرين إبليس من البشر ﴿ فَأَوقِد لِى يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجعَل لِّى صَرحًا ﴾[4].

أما ملائكة الرحمن : فقد امتثلوا - فى أدب ، واستحيا ، وعظيم طاعة - أمر الله (جل ، وعز) ولم يقولوا : إنا خلقنا من نور ، وخلق آدم من طين (عليهم جميعا الصلاة والسلام) فإنهم ﴿ لاَّ يَعصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُم وَيَفعَلُونَ مَا يُؤمَرُونَ ﴾[5].

ومن حكم خلق الإنسان ، واستخلافه فى الأرض :

أنه خلق لمعرفة ربه ، الذى خلق له كل شىء ؛ ليعبده عن معرفة حقة ، وحب

---

(١) من الآية ٣١ من سورة البقرة ٠

(٢) من الآية ٣٢ من سورة البقرة ٠

(٣) من الآية ١٢ من سورة الأعراف ٠

(٤) من الآية ٣٨ من سورة القصص ٠

(٥) من الآية ٩ من سورة التحريم ٠

زائد ، واقتناع ، ورضا ، وعبودية ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنَس إِلاَّ لِيَعْبُدُون ﴾[1] أى : يعرفون . . .

ومن ذلك : جاء الوعد الكريم على العبادة الحقة بالرزق السابغ ﴿ وَأْمُرْ أَهلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصطَبِر عَلَيهَا لاَ نَسئَلُكَ رِزقًا نَّحنُ نَرزُقُكَ ﴾[2] .

ومعرفة الله (عز وجل) التى خلقنا من أجلها : لن تُدْرَك بالعقل المجرد ؛ لأنه ليس لمخلوق خُلق من التراب أن يسمّو إلى إدراك عظمة رب الأرباب ﴿ لاَّ تُدرِكُهُ الأَبصَارُ وَهُوَ يُدرِكُ الأَبصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ ﴾[3] ولا يمكن أن يقيم الإنسان العلاقة على أساس صُلْب : من يقين المعرفة ، وأن يتم الاتصال بالعبادة بين الخلق ، والمخلوق . . . إلا بعد معرفة مستمدة من صادق مَعْصُوم . . .

وقد اقتضى الأمر ؛ لتتم المعرفة ، وتقوى الرابطة ، ويتم الاعتصام بحبل الله المتين ، وتتوثق العُرَى ، . . . أن يرسل إلى البشر رُسَلاً من أنفسهم ، وبلغات أقوامهم ؛ ليتم الاتصال ، ويأتى الفهم ، والإفهام ، . . .

فالرسل الكرام : لن يكونوا ملائكة ؛ لتعذر الاتصال ﴿ وَلَو جَعَلنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلنَاهُ رَجُلاً ﴾[4] .

هؤلاء الرسل : يوحى إليهم ، ويبلغون عن ربهم : يأخذون عن أمين الوحى بالجانب الملائكى ، ويبلغون أممهم بالجانب البشرى ، يحملون أمانة الرسالة ، وينهضون بأعباء التبليغ ، ويصبرون على عناَاد المعاندين ، وعنت المخالفين . . .

وهؤلاء الرسل الكرام : - مع التبليغ - يحققون القدوة العملية ، والتطبيق الجاد ، والحاد للتعاليم النظرية ، التى هى الرحمة ، ونظام الحياة ، والأحياء . . .

ولكمال الاتصال ، وتمامه على خير وجه ، ولنشوء العــلاقة اللغوية بين الرسل ، والمرسل إليهم اقتضت حكمة الله تعالى الساميَة : أن يبعث كل رسول بلسان قومه : ﴿ وَمَا أَرسَلنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَومِهِ ﴾[5] ولتنقطع سبيل الجدل على

---

(١) من الآية ٥٥ من سورة الذاريات .

(٢) من الآية ١٣٢ من سورة طه .

(٣) من الآية ١٠٣ من سورة الأنعام .

(٤) من الآية ٩ من سورة الأنعام .

(٥) من الآية ٤ من سورة إبراهيم .

المعاندين ، الذين يقولون – عنتاً ، وكبراً – : ﴿ لَوْلاَ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ءَأعجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾(1)؟

ولقد أدت جميع الرسالات واجباتها أتم أداء ، وبلغ الرسل أقوامهم أكمل تبليغ ، وكانوا الأسوة الطيبة ، والقدوة الصالحة .

ولم تكن جميع الرسالات إلا تمهيداً للرسالة العظمى العامة ، التى أكملت البناء ، وتممت مكارمَ الأخْلاَق . . .

وما كانت الكتُب السابقة إلا تمهيداً ، ومقدمة للفرقان العظيم ، والذكر الحكيم: فقيه خبر السابق ، ونبأ اللاحق ، وفى هديه سعادة الدنيا ، والآخرة . . . .

يصدق ما بين يديه من الكتب ، ويُهَيْمن عليها ﴿ لِيَستَيقِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الكِتَابَ وَيَزدَادَ الَّذِينَ آمَنُواْ إِيمَانًا ﴾(2) .

﴿ نَزَلَ به الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾(3) لابد لهذا القرآن العظيم من لغة : بها ينزل ، وبها يتلى ، ويتدارس ، وبها تنشأ علومه ، وتستنبط أحكامه . . .

وقد كانت اللغة اللِّسان الْعَرَبِيّ ، المبين ، جريا على سنة الله تعالى تعالى : ﴿ وَمَا أَرسَلنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَومِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم ﴾(4) ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَحوِيلاً ﴾(5) .

وإذا كان الرسول عربيًا ، وشرف الله تعالى به العرب ، وكانت رسالته عامة شاملة ، وقد نزل القرآن بلسان عربى مبين ، وبه خُتِمت الكتب ، وبالرسول الأمين ختمت الرسالات ، والنبوات . . . وبشريعته ختمت الشرائع . . .

كل ذلك : جعل اللغة العربية لغَةً عَالَمِيَّةً ، خالدَة ، ما بقيت السماوات ، والأرض ، وقد وجب تعلمها وجوب الإيمان بالله تعالى ؛ لأن طلب العلم واجب على كل مسلم ، ومسلمة ، ولأنَّها لغة التعلُّم ، والتَعْلِيم . . . .

---

(1) من الآية 44 من سورة فصلت .

(2) من الآية 31 من سورة المدثر .

(3) الآيات 193 ، 194 ، 195 من سورة الشعراء .

(4) من الآية 4 من سورة إبراهيم .

(5) من الآية 43 من سورة فاطر .

هذا : من ناحية عالَمِيَّة اللغة ؛ فوجوب تعلّمها وجوب الإيمان بالله تعالى ، وبالرسول العظيم ، ...

وقد تفضل الله (عز وجل) مِنَّةً منه ، وكرمًا : أن حفظ القرآن الكريم وصانه من كل يد عابثة ، آثمة ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1] .

وإن تمام حفظه إنما يكون بتمام حفظ لغته ، التى نزل بها ، وإنما تحفظ لغته برعاية القائمين على أمرها حق الرعاية ، والعناية بها كل العناية ، وبأن يجعل الله تعالى لها من الخصائص ، الذاتية ، الأصيلة ما تقاوم به عوامل الضعف ، والوهن ، والعناء ، ... وسنتحدث عن ذلك – إن شاء الله تعالى .

وقد هيأ الله تعالى للغة الكتاب ، والسنة من عوامل القوة ، والجمـال ما هيأ لها ، وجعلها تسير على نمط ، وفى دَرْب غير المألوف فى لغات البَشَر .

واللغات – بعامة – : كالأناسىّ ، تخضع لعوامل النشوء ، والارتقاء ، وتترقى من طفولة ، إلى شبيبة ، ثم تنحدر إلى كهولة ، وشيخوخة ، وهرم ، وفناء ، حيث تُقْبَر فى بطون المعجمات اللغوية ....

لكن اللغة العربية : قاومت ، وتقاوم عوامل الفناء ، والوهن ، والضعف ، وتتعاصى على عوامل الضعف ، والفَنَاء .

وذلك : لأنها صنعت على عين الله تعالى ، وبتقدير محكم ، وأنزل بها كلامه القديم ، على رسوله النبى العربّى العظيم ...

وروح الله (عز وجل) فيها قد صانتها من عوامل الفناء ، وكتبت لها خلود ، فلم تخضع لما خضعت له اللغات البشرية الأخرى ، التى لم تمنح خصائصها ، ولم يكتب لها خلودها ، ...

* * *

---

(١) من الآية ٩ من سورة الحجر .

ما أعظم الله ! ، الذى أحاط بكل شىء علما ، والذى لا يشغله علم عن علم ، والذى اتصف علمه القديم بالإحاطة ، والانكشاف ، . . .

فقد علم – أزلاً – أن هذه اللغة العظيمة هى لغة أعظم كتبه ، وأشرف رسله ، ولغة الشريعة الباقية ، والمنهج الثابت ، الذى لا يتغير ، ولا ينسخ ، فقد اختار لها خَلْقًا من ولَد سَام بن نوح (عليه الصلاة ، والسلام) مَازَه بذكاء القلب ، ودُرْبة اللسان ، وسلامة الذوق اللغوىّ ، وصفاء الحس ، . . . ، كما اختار له الموقع ، والمنشأ . . .

كما جعل هذا الخلق يرضى بحياةخشنة ، فى أماكن جافة ، مُجْدبة ، غير ذات زَرْع . . .

ووسع له فى صحاريه ، ليستمع الأفق ، ويرهف الحس ، ويبتعد الخيال ، وقد هيأ لهذا الخلق : **أسباب التباعد** فى أزمنة سحيقة ، حتى تتسع اللغة ، ويتنوع الموضع ، وتتسم بالثراء ، والنماء ، وقد تنوع الوضع اللغوى ، لتنوع الواضعين . . .

وقد قيض لهذا الخلق أسباب العُزْلَة ، والرضا بها ؛ لتكون اللغة مصونة من كل دخيل ، لا تخضعه لذوقها فى النطق ، وتضفى عليه من حسِّها المرهف ، جرسا معيَّنًا ، ورنَّةً خاصَّة . . .

وقد تم ذلك فى أزمنة متطاولة من الزمان ، وآماد بعيدة من السنين .

وقد لا يدرى اللاهجون بها ، ماذا يراد لهم بذلك التباعد ، وما تتهيأ له لغتهم .

ولكنهم على أى حال : ﴿ هُدُواْ إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ القَوْلِ ﴾[1] : مما خف على السمع جَرْمُه ، وعذب فى اللسان نطقه . . .

وقد شاء الله تعالى أن **يتم تقارب** بعد ذلك ، بعد طول فرقة ، وابتعاد ، وقد كان للتقارب نتائُجه الطيبة ، كما كان للتباعد ثماره الشهية . . .

---

(١) من الآية ٢٤ من سورة الحج .

ولنذكر قُلاًّ من كُثْرٍ من ثمار الأَمْرين :

نتائج التباعد :

للتباعد آثاره البعيدة المدى فى نمو اللغة العربية ، وثرائها ، فمن ذلك :

١ - غنى اللغة الغنى العظيم ، الذى لا يجعل لغة أخرى تدانيها فى ذلك :

فقد وضعت أسمـاء لمسمَّيات ، وقع عليها الحس ، أو تخيلها العقل ، وكل قبيلة ، أو جماعة كانت تصنع المسميـات للأسماء ، التى تتعامل معها وتحسها ، وتألفها ، مما جعل اللغة غنية بالكلمات غنى ، لا حدود له .

٢ - نشأ عن ذلك : الترادف ، والتضاء ، والمشترك ...

٣ - وجَدَ الناثر بغيته ، ووجد الشاعر طلبته ، وتنوعت القوافى فى أى : حروف الرَّوىّ .

وقد ساعد ذلك على النثر الفنى ، والسجع الخفيف على السمع ، كما ساعد ذلك على غزارة الكلمات ، وتنوع القوافى الشعرية ، ولم يجد الشاعر عنتـا فيما يفعل ...

٤ - اللهجات المختلفة للقبائل العربية .

التقارب :

للتقارب أسباب هيأت له ، وساعدت عليه ، وله ثمار اقتطفت منه ...

ولعلَّ **أهم أسباب** التقارب ما يلى :

١ - العرب أمة حروب ، وتصارع ، وتنافر ، فى الجاهلية ..

وقد كانوا يجتمعون فى أعقاب الوقائع الحربية ، التى تنشأ بين القبائل ، فى أحلاف ، وصلح ، وتبادل للأسرى ...

ويتكلم سادة القبائل ، والعشائر ، ويأخذ بعضهم عن بعض ألفاظا رائقة ، وعبارات شائقة ، وينقلونها لمن وراءهم ...

٢ - مجالس المنافرات ، والمفاخرات بالأحساب ، والأنساب ، **وبذلك** : يأتى التفاعل بين اللهجات ، ويكثر الأخذ ، والعطاء ...

٣ - هجرة القبائل المستمرة بين أرجاء شبه الجزيرة طلبا للرعى ، والماء ، وفى اختلاط بعضهم ببعض تتبادل الألفاظ ، واللهجات ...

٤ - تردُّد الشعراء على العظماء ، مادحين لهم ، طالبين عطاياهم ، وذيوع قصائدهم ، التى تحمل لهجاتهم ...

٥ - تداوُل روَايات الشعر بين الشعراء ، والقبائل ، وحفظ الرواة لجميع الشعر ، وكذلك كثير من العرب ·

٦ - الالتقاء على أرض الله تعالى فى مكة المكرمة ، وفى موسم الحج ، وتبادل الكلمات ، وتداخل اللهجات ·

٧ - الأسواق المنتشرة فى أرض العرب ، وقد كانت معارض ، للخطب ، والشعر ، والمنافرة ، وغير ذلك · · · ·

وذلك : فى عُكاظ ، ومجنة ، وذى المجاز · · ·

٨ - رحلتا الشتاء إلى الشام ، والصيف إلى اليمن ، بعدم عام الفيل ، وأمن الطريق ، واحترام قريش · · ·

ثمار التقارب :

أدى التقارب إلى تبادل الكلمات ، وتصارع اللهجات ، وتم المزج ، وجاء دور الانتقاء ، والاختيار ، فبقى الأصلح من الكلمات - تحقيقا للناموس الكونى - البقاء للأصلح ·

ولذلك : بقى الأصلح من كلمات اللغة العربية ، وثبت من الألفاظ كا اتسم بحلاوة النطق ، وعذوبة النغم ، والخفة على السمع ، والوقع فى القلب ·

وفى جميع الأطوار المتقدمة سارت اللغة السير الطبيعىّ ، المألوف ، الذى وصلت به إلى أن تتبوأ مكانتها بين اللغات ، وتبقى إلى أبد الآبدين ، وتكون لغة أهل الجنة فى يوم الدين · · ·

ولم تخالف اللغة طبائع الأشياء ، ولم تجاف السنن المألوف ، بل جرى أمرها على العادة ، والإلف ، فأخذت مما جاورها من جميع اللغات الحية ، استجابة لطبيعة تبادل المنافع ، وما يعز مسمَّاه فى أرضها · · · ·

لكن هذه اللغة العريقة قد طبعت ما أخذته بطابعها ، . وأخضعته لذوقها ، حتى صار ملكا لها ، مثل لغتها الأصيلة ، ومنطوقها الثابت · · ·

هذه الأمور التى عرضت للغة العربية : من سعة الوضع ، لتباعد الواضعين ، ومن الغنى الفريد بالمفردات ، والأساليب ، نتيجة التباعد ، وما حدث بعد ذلك : من الغربلة ، والانتقاء ، والاختبار ، وهجر الحوشى ، والنافر ، ومن إلف العذب ، والسهل · · · نتيجة التقارب ·

كل ذلك : من العوامل التى هيأت اللغة العربية لأن ينزل بها الذكر الحكيم

فيتسامى بها ، وترتقى به ، وتحفظ بحفظه ، وتكتسب منه ضروبا من البيان ، وأفاين من الحكمة فى شتى أرجاء الحياة . . .

ثم يأتى **دور السنة** النبوية المطهرة ، وقد ورد أن الرسول الأمين أوتى القرآن ، ومثله معه ، أو مثليه ، فترتقى اللغة صعدًا فى مدارج الكمال ، ويكتب لها الخلود ، والبقاء ؛ لأنها لغة كتاب محفوظ ، وسنة مصونة . . .

باعد **القوامون** على أمرها عنها كل موضوع ، ومدسوس عليها ، فبقيت نقية كل النقاء ، مصونة غاية الصون .

وبذلك : حملت اللغة العربية لواء الهداية ، ومنهج الحياة السليمة ، وشرائع الكون ، ووســائل هداية الأحياء ، وتوجيه الحياة توجيها ، نافعــاً ، وهَاديًا ، ومفيدًا . . . وصارت عالمية : تعدت حدود الزمان والمكان . . .

فى عفة لفظ ، وسماحة قول ، وسجاحة أسلوب ، ونبل غاية ، وسلامة مقصد ، . . .

وهجرت الفُحش من القــول ، والهُجْر من الأسلوب ، والحُوشىّ من الكلمــات . . . .

* * *

تأثير القُرآن الكريم عَلَى اللّغَة الْعَربيَّة

جاء القرآن الكريم ﴿ تَنزيلٌ مِّن حَكيم حَميد ﴾[1]، ﴿ وَلَو كَانَ من عند غَير الله لَوَجَدُواْ فيه اختــلافًا كَثيرًا ﴾[2]، ﴿ لاَّ يَأتيه البَـاطلُ من بَين يَدَيه وَلاَ من خَلْفِـــه ﴾[3].

وقد جاء القرآن الكريم فوق ما تصفه بلاغة البشر ، وأكبر ، وأعظم مما يصفه الناس ، . . . **ويقوله عنه الأصدقاء** .

من ذلك ما سجله الرافعى : « آياتٌ منزلة من حول العرش ، فالأرض بها سماء ، وهى منها كواكب ، . . . » .

وقال عنه الإمام الشيخ محمد عبده[4]:

« حوى من أخبار الأمم الماضية ما فيه معتبر للأجيال الحاضرة ، والمستقبلة :

نقَّب على الصحيح منها ، وغادر الأباطيل ، التى ألحقتها الأوهام بها ، ونبه على وجـوه العبرة فيهـا ، وحكى عن الأنْبياء ، ماشاء الله أن يقصَّ علينا من سيَرهم . . . » .

وما أعظم ما وصفه به الرسول الأعظم !

« . . . فيه نبأ ما قبلكُم ، وخَبُر ما بَعْدَكُم ، وحُكْم ما بَيْنَمُ ، وهو الفَصْلُ ، لَيْسَ بالهُزَلْ . . . » .

نزل بلسان عربى ، مبين ، فراع العرب سحرُه ، وبهرهم أسْره ، وأخذ بمجامع قلوبهم بيانُه الساحر ، وأسلوبُه المعجز القاصم ، فتوهموه سحراً وما هو بالسحر ، وظنوه شعراء ، وليس بالشعر ، وقالوا ـ كذبًا ، وبهتانًا ﴿ وَقَالُواْ أَسَاطيرُ الأَوَّلينَ اكتَتَبَهَا فَهيَ تُملَى عَلَيه بُكرَةً وَأَصيلاً قُل أَنزَلَهُ الَّذى يَعلَمُ السّرَّ فى السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ إنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحيمًا ﴾[5].

---

(١) من الآية ٤٢ من سورة فصلت .

(٢) من الآية ٨٢ من سورة النساء .

(٣) من الآية ٤٢ من سورة فصلت .

(٤) انظر رسالة التوحيد من ص ١١٤ . . . بتصرف .

(٥) الآيتان ٥ ، ٦ من سورة الفرقان .

وقال عنه ألَدّ خُصُومه : الوليد بن المغيرة : « إنَّ لَهَ لَحَلاَوَة ، وإنَّ عَلَيْه لطلاَوَة ، . . . ، وإنَّه يَعْلُو ، ومَا يُعْلَى عَلَيْه . » .

يسمعه القاسى ، فيخبت ، ويلين ، يسمع فاتك من فتاك الليل قارئا يقرأ فى جُنح الظـلام ﴿ أَلَم يَأنِ لِلَّـذينَ ءَامَنُـواْ أَن تَخشَعَ قُلُوبُهُم لِذكرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ ﴾(١).

فرقَّ قلبه ، وخشعت جوارحه ، فصاح من أعماقه قائلا : « قَدْ آنَ يَا رَبّ » ثم أقلع عن ذنوبه ، وعاد تائبا إلى ربه ، وحسنت توبته ، وأناب إليه . . .

وسمع فاتكُ ، قاطعُ طريق قول الله تعالى : ﴿ وَفِى السَّمَاءِ رِزقُكُم وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثلَ مَا أَنَّكُم تَنطِقُونَ ﴾(٢).

فصاح : يا سبحان الله ! من الذى أغضب الجليل حتى حلف ، لم يصدقوه بقوله ، حتى ألجأوه لليمين .

وما زال يردد ذلك حتى فاضت روحه . . .

وسمع أعرابى قارئا يقرأ « فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرْ »(٣) فسجد ، وقال : سجدت لفصاحته . . .

وأنصت بعضهم إلى قوله تعـالى : ﴿ فَلَمَّا استَيأَسُواْ مِنهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ﴾(٤) فقال : « أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام » .

وهكذا : فإن كل من يسمع شيئا من كتاب الله تعالى ، ويلقى السمع ، وهو شهيد ، يلمح فيه البلاغة ، وإعجاز البيان ، ونضارة الأسلوب ، وسلامة الهدف ، وسموّ القصد .

ويرجع ذلك : إلى أسرار عظيمـة من ناحيـة الأسلوب ، والمعانى ، والأهداف . . .

ولعل فى المقدَّم منها ما يلى :

١ - **قوة التصوير** : ودقته ، وإحكامه ، فليس هناك تصوير أجمع لأطراف المعنى ، وأشد مداخلة للإحساس ، وأبلغ إثارة للمشاعر من تصوير القرآن الكريم .

---

(١) من الآية ١٦ من سورة الحديد .

(٢) الآيتان ٢٢ ، ٢٣ من سورة الذاريات .

(٣) من الآية ٩٤ من سورة الحجر .

(٤) من الآية ٨٠ من سورة يوسف .

تأمل قول الله تعالى فى شأنه أعمال الكافرين ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَعمَالُهُم كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحسَبُهُ الظَّمآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَم يَجِدهُ شَيئًا ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَدِمنَا إِلَى مَا عَمِلُواْ من عَمَلٍ فَجعَلنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ كَرَمَادٍ اشتَدَّت بِهِ الرِّيحُ فِى يَومٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَىءٍ ﴾[3] .

٢ - الحكم المنبثة فى ثناياه :

وقد بلغت من الدقة ، والصدق أسمى غاية ، مع سمو البلاغة ، وقمة الإيجاز ، والإعجاز ·

يقول (جل وعز) واصفا الكثرة الفاشلة ، والجماعة المتفرقة : ﴿ تَحسَبُهُم جَمِيعًا وَقُلُوبُهُم شَتَّى ﴾[4] .

وفى عباد الرحمن ﴿ · · · · وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾[5] .

وفى إعجاب كل جماعة بما عندها : ﴿ كُلُّ حِزبٍ بِمَا لَدَيهِم فَرِحُونَ ﴾[6] .

وقمة القمم ﴿ خُذِ العَفوَ وَأمُر بِالعُرفِ وَأَعرِض عَنِ الجَاهِلِينَ ﴾[7] .

وهكذا : ما تمر بحكمة إلا وبأخذك صدقها ، وعظيم توجيهها ، وإصابة هدفها · · · ﴿ صُنعَ اللهِ الَّذِى أَتقَنَ كُلَّ شَىءٍ ﴾[8] وكلامه القديم (جل شأنه) .

٣ - عظمة الإيجاز ، وجلال الإطناب :

وفى الإيجاز : نجد القرآن الكريم فى السمو البلاغى ؛ فقد أحكم وضع اللفظ بإزاء المعانى السامية ، حتى ليكاد الإنسان يخر ساجدًا لهذا البيان الخلاَّب ، والأسلوب المشرق ·

---

(١) من الآية ٣٩ من سورة النور ·

(٢) من الآية ٢٣ من سورة الفرقان ·

(٣) من الآية ١٨ من سورة إبراهيم ·

(٤) من الآية ١٤ من سورة الحشر ·

(٥) من الآية ٧٢ من سورة الفرقان ·

(٦) من الآية ٥٣ من سورة المؤمنون ·

(٧) من الآية ١٩٩ من سورة الأعراف ·

(٨) من الآية ٨٨ من سورة النمل ·

من ذلك ﴿ وَلَكُم فِى القِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾[1]، ﴿ مَنَ يَهدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهتَدِ ﴾[2].

وفى الإطْنَاب نجد العَجَبَ العُجَاب :

اقرأ - إن شئت - قصة سيدنا يوسف ، فإنك تجد أثر الإطناب فى صدق ، الإجابة ، ورقة التصوير ﴿ نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسَنَ القَصَصِ بِمَا أَوحَينَا إِلَيكَ هَذَا القُرآنَ ﴾[3] القصة .

ومن ذلك : نجد أسلوب القرآن الكريم قد امتــاز بأجمل طـابع ، وأحكم صورة ، وأروع سَمْت بما تهيأ له من حكم عالية ، ومعان سامية ، وحسن ارتباط بين المعانى ، مع عذوبة الأَلْفَاظ . . .

٤ - فواصل الآى :

تسوِّى فواصل الآى النغم الموسيقىّ ، الأخَّاذ للآية ، لما للفاصلة من عذوبة الرئين ، وحلاوة الجرس . . .

ولذلك تختم فى أكثر المواضع : بحرف المد ، مع النون ، والميم ، وهما من الأحرف التى تساعد على الغُنَّة ، والتطريب .

والفاصلة فى ختام الآية : تأتى مستقرة ، مطمئنة فى موضعها ، غير قلقة ، ولا نافرة . . .

وتجىء الفاصلة - غالباً - تذييلاً ، يؤكد المعنى ، فكأنها تلخيص للفكرة العامة فى الآية .

ونوضح ذلك فيما يلى :

١ - قال الله تعالى : ﴿ وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنهُم مَّن يَمشِى عَلَى بَطنِهِ وَمِنهُم مَّن يَمشِى عَلَى رِجلَينِ وَمِنهُم مَّن يَمشِى عَلَى أَربَعٍ يَخلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ﴾[4].

فالآية الكريمة توضح جانبا من مظاهر القدرة الإلهية فى خلق الأحياء ، وتشير إلى اختلاف طرائقها فى المشى ، والحركة ، مع اتحادها فى أصل الخلقة . . .

---

(١) من الآية ١٧٩ من سورة البقرة .

(٢) من الآية ١٧ من سورة الكهف .

(٣) من الآية ٣ من سورة يوسف .

(٤) من الآية ٤٥ من سورة النور .

وجاءت الفاصلة بعد ذلك : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ تبرز هذا المعنى ، وتوكده ·

قال تعالى : ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾[1] .

فالمقام - هنا - مقام الرجل ، يتصدق على الفقير ، ثم يتبع صدقته أذى له ، أوْ منًّا عليه ، أو يضيق صدره بإلحاح الفقير ، وإلحافه ، فيوضح له الله الغنى ، أنه غنى عن هذه الصدقة ، المقترنة بالمنِّ ، والأذى ، وأنه حليمٌ يعفُو ، ويغفر عند التوبة ، والإقلاع · · ·

ولذلك : تجيء الفاصلة : ﴿ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾[2] .

٣ - قال الله تعالى :﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[3] .

فاللطيف : يناسب ما لا يدرك بالبصر ، والخبير يناسب ما يدرك به · · ·

فهو تعالى للطفه لا يدرك ، ولإحاطته خُبْراً بكل موجود يدرك ، وتنكشف له جميع الموجودات ·

من ذلك : ومن أمثال ذلك ، وهو فيض تنتظر الأذن ، ويرهف السمع ، وينفتح القلب لفاصلة تأتى تتويجاً لما تقدم فى الآية الكريمة ·

وهذا يفسر لنا خطأ بعض القراء ، وإنكار السامعين عليهم ، **ومن ذلك ما يلى** :

١ - سمع أعرابُى قارئًا يقرأ قول الله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[4] .

فانتفض الأعرابى ، قائلاً : « لَيْسَ هَذَا موضع الغُفْران ، والرحمة · · ·

فلما استدرك القارىء ، وعاد إلى الصواب ، وقرأ ﴿ · · · وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ·

اطمأنت نفس الأعرابى ، وهدأت ثورته ؛ فالمقام مقام عزة ، وقوة ، وحكمة فى هذا التشريع ·

---

(١) من الآية ٢٦٣ من سورة البقرة ·
(٢) من الآية ٢٦٣ من سورة البقرة ·
(٣) الآية ١٠٣ من سورة الأنعام ·
(٤) من الآية ٣٨ من سورة المائدة ·

٢ - سمع أعرابى قارئا يقرأ ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعدِمَا جَاءَتكُمُ البَيِّنَاتُ فَاعلَموُاْ أَنَّ اللهُ غفور رحيم ﴾(١).

فقال : لا يكون : الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل ؛ لأنه إغْراءٌ به . . .

والتكملة الصحيحة للآية الكريمة ﴿ فَاعلَموُاْ أَنَّ اللهُ عَزِيز حكيم ﴾ .

وكل ذلك : يدل على أن القرآن الكريم يشبع الفطر السليمة ، ويساير تطلعاتهـا ، فالقرآن الكريم كلام الله القديم ، والفطرة السليمة من صنع الله تعالى .

وما كان من الله تعالى كان محكما ، ولن تجد النفس فيه اختلافا . . .

وقد تقوى الرابطة بين الآية ، والفاصلة ، حتى لتوحى بها الآية قبل النطق بهـا . . .

فقد روى عن زيد بن ثابت - وكان من كتاب الوحى - أنه قال : أَمْلَى عليَّ رسول الله ﷺ :

﴿ وَلَقَد خَلَقنَا الإنسَانَ من سُلاَلَة مِّن طين ثُمَّ جَعَلنَاهُ نُطفَةً فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة فَخَلَقنَا المُضغَةَ عِظَامًا فَكَسَونَا العِظَامَ لَحمًا ثُمَّ أَنشَأنَاهُ خَلقًا ءَاخَرَ . . . ﴾(٢).

وهنا قال معاذ بن جبل ﷺ ﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحسَنُ الخَالقينَ ﴾(٣).

فضحك رسول الله ﷺ .

فقال معاذ : « مم ضحكت يا رسول الله » ؟

قال : « بها خُتمت » .

ولا عجب فى ذلك : فإن الروح إذا صفت ، والأذن إذا اعتادت سماع التنزيل الحكيم ، وأن القلب إذا خالطت بشاشته أساليب الذكر الحكيم . . توجهت الفطرة النقية إلى ذلك .

والله تعالى يهدى مَنْ يَشَاء لَمَا يَشَاء .

* * *

---

(١) من الآية ٢٠٩ من سورة البقرة .

(٢) الآيات ١٢ ، ١٣ ، ١٤ من سورة المؤمنون .

(٣) من الآية ١٤ من سورة المؤمنون .

أثر القرآن فى اللغة

للقرآن الكريم : أبلغ الأثر فى لغة العرب ، فقد صقلها ، وقوم الأساليب ، وطبع ألسنة العرب بطابع جديد .

ومن ذلك ما يلى :

١ - خلع القرآن الكريم على اللغة جمالاً ، وحسن سَمْت ، وجلالاً ، ووقارًا فقد هُجِر اللفظ الوحشى ، والنافر ، وأضفى القرآن على اللغة زيادة أتَّمت ثَروتها ، وأنارت صفحتها ، وأضفت عليها الحسن ، والبهاء ...

٢ - جمع العرب على هذه اللغة ، بعد طول فرقة فى اللهجات ، وكان كلما تفرقوا فى لهجاتهم جمعهم تحت لواء واحد ، ووحدت رايته فطرهم اللغوية ...

٣ - أكسب القرآن الشعراء ، والخطباء ، والكتاب أساليب جديدة ، وضروبا من القول فريدة ، فنهجوا نهجه ، ونسجوا على منوا له ...

يقول (عز وجل) : ﴿ وَإِنَّا أَو إِيَّاكُم لَعَلَى هُدًى أَو فِى ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾[1].

فيقتفى حسَّان ﷺ الأثر ، فيقول فى الرد على أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب - وقد هَجَا الرسول الأمين :

أَتَهْجُوهُ ، وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ ؟ فَشرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ

وتقول الآية الكريمة : ﴿ لَقَد جَاءَكُم رَسُولٌ مِّن أَنفُسِكُم عَزِيز عَلَيهِ مَا عَنِتُّم حَرِيص عَلَيكُم بِالْمُؤمنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

فيقول حسَّان بن ثابت ﷺ :

عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَحِيدُوا عَنِ الهُدَى حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا ، وَيَهْتَدُوا

ويقول الله تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيرَ الزَّادِ التَّقوَى ﴾[3].

فيسمع ذلك الحطيئة ، وكان أعرابّى الخُلُق ، جافيًا ، غليظا ، لم يخالط الإسلام بشاشة قلبه ....

---

(١) من الآية ٢٤ من سورة سبأ .

(٢) من الآية ١٢٨ من سورة التوبة .

(٣) من الآية ١٩٧ من سورة البقرة .

لكنه لم يفته أن يضع نصب عينيه سلامة الفكرة ، ونصاعة المسلك ، فى أدب القرآن الكريم ، فيقول :

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمْعَ مَال ... ولكنَّ التــقىَّ هُوَ السَّعِيدُ
وتَقْوَى الله خَيْرُ الزَّاد ذُخراً ... وعنْدَ الله للأتــقى مَزِيدُ

ولن يزال القرآن الكريم النبع الحُلْو ، الذى لا ينضب ، والسراج المنير ، الذى لا يخبو ، حتى يرث الله الأرض ، وما عليها ، ومَنْ عَلَيْهَا ...

والخلاصة :

فإن تقدير العزيز العليم أزلاً أن ينزل القرآن الكريم بلسان عربى ، مبين اقتضى أن تكون فى اللغة العربية خصائص ذاتية تجعلها لا تموت ، ولا تغنى وتتأَبَّى على عوامل الضعف ، والفناء ، وتكتسب الخلود ...

وقد أكسب الذكر الحكيم اللغة كل أسباب العزة ، والقوة ، والمنعة ، والتفنّن ووسع آفاقها ، ونَمَّى معارفها .

وقد ظهرت علوم القرآن الكريم ، وبهـا صارت اللغة لغة علم ، وأدب ، وذوق ، وأداة علُوم ، وفُنُون ...

وصار تعلمها فريضة على كل مسلم ، ومسلمة ، لممارسة العبادة ، والتعرف على المناهج ، والآداب ، والأحكام ... وكفاها ذلك شرفا من بين اللغات ....

* * *

بلاغة

الرسول العظيم ، وأثرها على لغة العرب

لعلَّ من أجلّ ما نقدمه بين يدى البَحْث قول الصدِّيق ﷺ :

« يا رَسُول الله لَقد طُفْت فى العرب ، فما رأيتُ الذى هو أفْصَح منْك ! فمن أدَّبك ؟

فقال الرسول الأمين : « أدَّبنى ربِّى ، فأَحسَنَ تَأديبى » .

أى : علَّمنى ، فأَحْسَن تعلي ، حتى لا يجلسَ إلى معلم ، تكون له مكِرمة عليه . . .

وفى هذا المعنى يقول الإمام على (كرَّم الله وجَهه) : « يا رسولَ الله : نَحْنُ بَنُو أب واحد ، ونراكَ تكلِّم الوفودَ بما لا نعلمُ أكثرَهُ ، فَمْن أدَّبَكَ ؟

فَقال أبْلغُ البلغاء : « أدَّبنى ربِّى ، فأَحْسنَ تأديبى » .

وقد روى أن الرسول العظيم قال لأبى تميمة : « إياَّكَ ، والمخيلةَ » .

فقال يا رسول الله : نحن قومٌ عَرَب ، فَمْا المُخيلةُ ؟

فقال ﷺ : « سَبْلُ الإزار » .

فقول أبى تميمة يَدُلّ على أن الرسول العظيم اخْتَرع هذا اختراعا ، ولم يُسَبق إليه . . .

ولاَ عَجَبَ فى ذَلك :

– فالرسول الأمين مرسل إلى الخلق كافَّة ، ومن أنُعُم الله تعالى عليه أن يعلمه كلمات ، وأساليب يخاطبُ بها أهل القبائل على اختلاف لهجاتهم ، ويرسل بها كتُبُه إلى الملوك ، والرؤساء يحبب إليهم الإسلام ، ويعرضه عليهم ، ويطلب منهم أن ينعموا بظلاَل عَدْله ، وإخائه ، ومُسَاوَاته . . .

وفى ذلك : ما يشير إلى لَوْن من الإعجاز عظيم ، فأَنَّى للرسول الأمين بذلك ؟

ولم يغادر وطنه ، ولم يرتحلُ إلى غيره ، رحلة تكسب الألفاظ ، وتمنح الأساليب .

وذلك : مَدْعَاة إلى التصديق به ﷺ وبما جاَءَ به ؛ لأنه من عند الله . . .

– وأيضًا : فإن الرسول الأمينَ بُعث إلى أمة فصاحة ، وبلاغَة ، ولهم الباع الأطولُ فى صياغة الأساليب ، وتركيب العبارات . . .

وذلك يقتضى أن يكون المرسل إليهم أعظم منهم فى كل شىء ، لأن الدعوة تحتـاج إلى فصـاحة لنشرهـا ، وبلاغة للدفـاع عن شبه المعـاندين ، وباطل المبطلين . . . . ، كما تحتاج إلى قوة تدافع عنها .

– ولأن الرسول قد بعث ، ونال شرف ختم الأنبياء ؛ لأن العقل قد تربّى على أيدى الرسالات السابقة . . .

ومن ذلك : كانت معجزته الخالدة : القرآن الكريم ، مع قوم كانوا يعتزُّون بفصاحتهم ، ويتفاخرون ببلاغتهم ، فتحدَّاهم القرآن الكريم فى تدرج فعجزوا ، ودل ذلك على أنه كلام الله ، نزل على رسول الله . . .

– والرسول الأمين كان يعتز بما منحه الله من صفاء القريحة ، ونقاء الفطرة ، وخلابة المنطق ، ورجاحة الفكر ، وسجاحة الأُسْلُوب .

وكان يقـول : « أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيْدَ أَنِّى من قُرَيش ، ونَشَـأْتُ فى سَعْد بن بكْر » .

وقد آتاه الله تعالى « جَوَامع الْكَلم ، ولم يُؤْتَها أحَدٌ قبله » .

– وكما هيأ رب العزة للغة العربية ما هيأ لها مما دانت به الكمال هيأ للرسول الأمين من أسباب البلاغة ما جعله فى موضع الدّهش ، من كل سمعه ، وأنصت إليه : ألفاظه تفيض عذوبة ، وتقطر رقة . . . ، ومعانيه صادقة كل الصدق ، . . . .

فقد كان مولده الشريف فى بنى هاشم ، وهم ذِرْوَة قريش سَلاَسة لسان ، وسماحَة بيان ، وأخواله من بنى زُهْرة ، ورضَاعُه فى سعد بن بكر ، ونشأته فى قريش وتزوج من خديجة ، وهى من بنى أسَد . . .

وكل هذه قبائل خصها الله تعالى بعرق فى الفصاحة عريق .

وهذا التوافق المحكم أدى ثمارة الشهية ؛ ليكون الرسول الأمين أفصح خلق الله على الإطلاق . . .

إليـك بعض النماذج المختصرة لبـلاغة الرســول الأمين ، وغيرُهَا لا يقل عنهـا . . .

– فى أول خطبة له فى قريش بعد أن أمره الله تعالى بأنْ يَصدعُ بالأمر . . . .

قال : « إنَّ الرائد لا يكذبُ أَهْلَه ، والله لو كذَبْتُ الناس مَا كذَبتكُم ، ولو غَرَرْتَ الناسَ ما غَرَرْتكُم . . . » الخطبة .

- يُصوّرُ البخيلَ ، والمنفق برجلين عليهما جبتان من حديد ·

فالمنفق ينفق حتى تعفى أثره ، أى : تستر عيوبه ، والبخيل ، إذا هم بالإنفاق لزقت كل حطقة مكانها ، فهو يوسعها ، فلا تتسع · · ·

وغير ذلك كثير :

ويقول الرافعىّ (١) : لقد رأينا هذه البلاغة النبوية قائمة على أن كل لفظ هو لفظ الحقيقة ، لا لفظ اللغة ، فالعناية فيها بالحقائق ، ثم الحقائق هى التى تختار ألفاظها اللغوية على منازلها :

وبذلك يأتى الكلام كأنه نُطق للحقيقة المعبّر عنها · · · ·

* * *

بَعْضُ النَّماذِجِ مِنَ الْبَلاغَة النبويَّة

من ذلك ما يلى :

١ - « هُدنةٌ عَلَى دَخَنٍ » :

يريد : أن الصلح لم يذهب حَفَائظ الصدور ، وأضغان القلوب ، فيقى منها كما يبقى من النار تحت الرماد ، يتحفز للاشتعال ·

٢ - قوله الكريم ، الرَّحيم لأنْجشَة العبد ، وكان حاديًا حَسَن التَّطْريب ، فتسرع الإبلُ ، وتتمايل الهوادج بالنساء : « رِفْقًا بالْقَوارير » ·

أي : لأن النساء يسرع إليهن الْعَطَب كالقوارير الزجاجية ، عند سرعة السير ، بالحداء ·

٣ - قوله الكريم : « لاَ يُلْدَغ المؤمَن من جُحْر مرتين » أى : إن المؤمن لفطنته لا يخدع مرتين ·

قال ذلك : لأبى عزَّة الجُمَحىّ ، بعد أن مُنَّ عليه يومَ بدر ، فعاد سيرته الأولى ، وأُسِر يومَ أُحد ، وطلب من الرسول الأمين أن يَمُنَّ عليه · · · ·

فقال له : « لا تُمْسحَ عاْرِ ضَيْك بمكّة تقول سَخرتُ محمَّد مرَّتين ، لا يُلْدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ مرَّتَيْن » ·

٤ - وقال ﷺ فى الأمْرِ المُسَلَّم : « لا يُنْتَطح فيه عَنْزَان » ·

---

(١) ٤١١ إعجاز القرآن · · · · ·

٥ – وحذَّر من المرأة ، التى ساء منبتها ، ولم تُحسن تربيتها · « إياكم وخضراءَ الدِّمَن » وفَسَّر ذَلك : بأنها المرأةُ الحَسْنَاء فى مَنْبت السُّوء ·
٦ – وقالَ فى قوامة الرجل الدائمة ، ورعايته المستمرة ، ومتابعته اليقظة · · ·

« عَلِّقْ سُوْطَكَ حيْثُ يراهُ أَهْلَكَ » ·
٧ – وقال : « مَن اطلَّع منْ صير باب فَقَدْ دَمر » أى دخل ·
قال عالم اللغة أَبُو عَبْدَةَ : لم يُسمع هذا الحرْف ، أى الكلمة إلا فى هذا الحديث ·

هذا كله يعتبر إلهامًا من الله لنبيه ، وتأييدًا له بمعجزة البيان ·

قال الرفاعى[1] :

« فما نَدْرى أىُّ ذلك أعجب : أن يَنْفردَ الرسول ﷺ بمعرفة هذا الغريب من ألسنة الْعَرَب ، دون قومه ، وغير قومه ممَّن ليس ذلك فى لسانهم ، من غير تعليم ، ولا تلقين ، ولا رواية ، أو أن يكون قومه من قريش قد ضربوا فى الأرض للتجارة ، حتى اشتق اسمهم منها ، وخالطوا العرب وسمعُا مناطقهم فى أرضهم ، وحين يتوافدون إليهم فى معصم الحج ، وهم مع ذلك لا يعلمون عن هذا الغريب بعض ما يعلمه ، ولا يرددونه فى ألسنتهم · · · ولقد كان الرسول الأمين فى هذا الباب باباً على حدة » ·

وما تقدم قُلٌّ من كُثْرٍ ، نَسُوقه ، للتأمّل ، ولدراسة أشْبَاهِهِ ، ونَظَائرِهِ من القول الفصل ، والسِّحْر الْحَلاَل ·

ونجمل ما تقدم فى الآتى :

١ – مما نلقى الله (عز وجل) عليه عقيدةً ، نستودعها عنده : ليردَّها إلينا يوم الدين :

أن الرســول الأمين أعظم خلق الله على الإطلاق ، وأنه أُرسل إلى الخلق كافة ، وفى أمة فَصَاحَة ، وبَلاَغة ، فهيـأه الله (عز وجل) ليكـون أبلغَ الخلق حجةً ، وأعذبهَم كَلماً ، وأَغْزَرهُم حكماً ، وأصدقهم حَديثًا ، وأوجَزَهم عِبَارة ، وأعلمهم بلغاتِ العرب وأقدرهم على مخاطبة كل قبيلة بلغتها ، ولهجتها · · ·

---

(١) المرجع السابق ·

ومن ذلك كان بيانه الرائع ، ومنطقه القاطع أرقى ألوان السموّ البلاغى ، فاقبسوا منه ، وساروا على دَرْبه ، واقتفوا أَثَرَه ٠٠٠

٢ - **مما لا شك** فيه أن الرسول الأمين ، ما نطق على الهوى ، وكان كلامه وحيًا من الله تعالى : ﴿ إن هُوَ إلاَّ وَحيٌ يُوحَى ﴾(١) .

طبَّق القرآن الكريم على نفسه ، وقد كان خلُقُه : شَرَحَ معانية ، وفسر آياته ، وأزال تشابه المتشابه منه ، وطبق الأحكام ، وفصلها ، وقد جاءت فى الذكر الحكيم مجملة ، فشرح الإجمال ، وترك الناس على المحجة البيضاء : ليلها كنهارها ٠

ومن ثم :

ا - لم يحتج إلى مترجم يترجم له عند مجيء القبائل معلنة إسلامها ٠

ب - لم يحتج إلى مترجم فى الكتابة إلى الملوك ، والرؤساء ٠٠٠

وكيف يكون ذلك : وقد أدَّبه ربه ، فأحُسَن تأْديبه ٠٠ وجعل أميته شرفا حتى لا يحتاج إلى غير ربه ٠

٣ - لقد أثر الذكر الذى نزل عليه ، والمنطق الشريف الذى نطق به تأثيرا عظمـا ، قويًا ، نشير إلى شىء يسير منه ، فى إضفاء العظمة على اللغة العربية ٠

ا - اعتمد المفسرون للذكر الحكيم على سنته المطهرة ، فى تفسيرهم لكتاب الله تعالى ، وفى استباط الأحكام الشرعية ، وكان ذلك كالنظرية المحكمة ، والتطبيق الجاد ، والحاد ٠

ب - استمدت اللغة أفكارًا ، وألفاظًا ، وأساليب جديدة ، لم تألفها اللغة من قبل ، وقامت علوم القرآن ، والسنة النَّبوية على بيانه الناصع ، حكمه الساطع ٠٠٠

جـ - تأثر الخطباء ، والكتاب ، والشعراء بالسنة المطهرة واقتبسوا منها أفانين القول ، وضروب البيـان ، ولن يزالوا يقتبسون ، حتى يرث الله الأرض ، وما عليهـا ، ومن عليها (جزاه الله عنَّا خيرَ ما جازَى نبيًّا عن أُمتَّه » ٠

* * *

---

(١) من الآية ٤ من سورة النجم ٠

عَوَامل
نُمُوّ اللّغَة ، واتِّسَاعُهَا

اللُّغَاتُ كالشُّعُوب فى النُّموِّ :

فإذا فكرنا فى تكون شعب من الشعوب ، وجدنا أن ذلك قد تمَّ على دعامتين أساستين :

الأولى : التَّنَاسُل .

والثانية : التجانُس .

فشخص « كقحطان » - مثلاً - وُلِدَ لَهُ عدة أبناء ، وكل واحد من أبنائه ولد لَهُ أبناء . . .

وهكذا : حتى يبلغ أبْنَاء قَحْطَان ، وبَنَاته بعد دَهْرٍ من الزمان الألوف ، التى تؤلف شَعباً من الشُّعُوب .

وبالتناسُل ، ومسايَرَة طبائع الأشياء لا نجد - بالبحث - الشعْبَ مقصدًا على نسل ذلك الشخص الأعلى ، بل نجد أفرادًا من شعوب أُخرى ، قد انحازت إليه ، واندمجت فيه بالمصاهرة ، والمعاشرة ، والمعايشة . . .

ونجد أن هؤلاء الأفراد قد تكلموا بلغته ، واعتادُوا عَادَاته ، فى مأكله ، ومَشْربه ، وملْبَسه ، وسُكْنَاه ، وضُروب سَقْيِه فى أرْضِ الله ، واتخاذ الحِرُف ، وضروب السعى ، والعمل . . .

وبهذَا : نجد أنَّ هؤلاء الأفراد قد شابهوا تمام الشبه الشعب الأصيل ، فى جميع خواص الحياة ، التى يمتاز بها عن غيره .

وبذلك : يُعَد هؤلاء الأفراد منه ، ويكتسبون جميع الحقوق التى للشعب الأصيل : سواءً بسواء . . .

واللغة : تُماثل الشعب فى ذلك تمام المماثلة ، فكلاهما خلق الله تعالى .

ونجد كلمات اللُّغَة تنمو ، وتزداد بالتناسل ، والتجانس .

ولكن التناسل فى اللغة ليس تناسلاً حقيقيا ، قائما على التزاوج بين ذكر ، وأنثى . . .

وإنما يعنى اشتقاق الكلمات بعضها من بعض ، والتصرف فى أبنيتها تصرفا ،

ينشأ عنه نموها ، وازدياد عددها تبعا لما يَجِدُّ من الأغراض والمعانى المحتاجة إلى ألفاظ جديدة . . . .

وأمام التجانس فى اللغة :

فيقصد به : أن تنقل إليها من لغات أخرى ، وتدمج فيها ، بعد أن تصقلها وتطبعها بطابعها الأصيل : بما يدخل عليها من تغيير فى بعض حروفها ، أو تبديل فى شكلها ، كى يخف لفظها ، ويسهل نطقها ، ويخف على السمع جرسها ، ويسهل نطقها فى ألسنة الذين يتخاطبون بها .

وهذان الأمران :

لم تستأثر بهما لغة ، دون أخرى ، بل يعّدان قانوناً عاما ، تخضع له اللغات كلها .

والذى يدعو عادة إلى الاستزادة من مادة اللغة ، ويثرى مفرداتهـا ، وتراكيبهـا . . . ويسمو بها : هو ما يحدث من ازدياد حاجة أهلها إلى ازدياد الفكر ارتقاء ، والكلمات صقلاً ، والمعانى سموًّا ، والخيال خصوبة ، واتسـاعاً قرنا بعد قرن ، وجيلاً بعد جيل . . .

فالنـاس يكثرون من التدبُّر فيما يحيط بهم ، والإفادة منه ، والانتفـاع بخواصِّه . . فيرتقون بأساليب حياتهم ، ويفتنون فى أساليب معيشتهم : فينوعون فى المساكن ، ويستخدمون الأثاث ، والرياش ، والطعام ، ويكثرون من تغيير الأزياء ، ويرتقون فى العلوم ، والفنون ويقيمون الصناعات . . . إلى غير ذلك مما يقتضيه الترقى ، وتسلتزمه الحضارة ، التى هى من خصائص الإنسان .

وهذا كله :

إنما يستوجب البحث عن الكلمات ، التى توضع للإبانة عن المقصود وتساير الحضارة الماديَة ، والروحية ، والحياة التى يتطلع لها الإنسان .

ولو طبقنا ذلك على لغتنا العربية لوجدناها قد انحدرت من سـام ونطق بها أبناؤه ، وأخذها - بعد أحقاب طويلة - عنهم العرب ، الذين بادوا ، ودرست آثارهم ، ولم تذهب لغتهم . . .

وأخذ عنهم القحطانيون ، وأخذها عرب الشمال من القحطانيين ، واتسعوا فى الوضع . . . وأخذوا عن الأمم الأخرى المجاورة بالمخـالطة ، والمعـاشرة ، وبالتجـارة ، وباستجلاب أدوات الزينة ، والأثاث ، والرياش . . .

وغير ذلك ، مما لا يوجد فى أرضهم ، ووجد فى أرض أمم أخرى ·

وفى هذا الصدد نقول :

أخذ العرب عن الفرس ، والرومـان ، والسّريان ، والقبـط ، والحبش ، والنبط · · · وغيرهم من الأمم الأخرى ، ممن ارتبط العرب بهم بأدنى رباط : من مخالطة ، ومجاورة ، ومتاجرة ، ومعايشة ، وعراك · · · وغير ذلك ·

كما يمكننا أن نطبق ذلك على لغتنا العربية فى عهد المماليك ، وما صارت إليه الآن :

فإنها فى عصر المماليك : عصر الضعف كانت اللغة قاصرة على ما تستلزمه معيشة أهلها ، وحركتهم العلمية الضعيفة ، والصناعية الضئيلة ·

وفى العصر الحديث :

أرغمنا ما عبر البحر الأبيض إلينا : من علوم أوروبا ، وفنونها ، وآدابها ، وصناعاتها ، وما اقتبسناه من معيشة أهلها ، ومن ضروب سَعْيِهم ، وعاداتهم فى مطاعمهم ، وملابسهم ، وأنْوَاع زينتهم ، ورفههم · · ·

على أن نحيى ما كان أهمل من لغتنا ، وقُبِر فى بطون المعجمات ، والأسفار ، والموسوعات ·

وقد أخذنا كثيرًا من الكلمات الأوروبية للدلالة على المسميات التى ألف الجمهور مشاهدتها ، وكثر فى كتب العلم ورودها ، ولم يوجد فى اللغة العربية ما يقوم مقامها · · ·

وبهذا :

استعـادت اللغـة العربية قدرًا كبيرًا من نضارتها ، واكتسبت ثروة هائلة من غيرها · · ·

على أن حركة التعربب ، **لا** تتوقف ، حتى تساير اللغة مطالب العصر ، وتواكب حركات التقدم العلمى ، والفنى ، **والصناعىّ** ·

وكل ما تقدم : مما ترتقى به لغتنا ، وتبلغ به درجات الرفعة ، والكمال بين لغات العالم الراقية · · ·

ويهمنا فى المقام الأول : بعد ما تقدم : **التعربب فى اللغة** - بعامة -

وما ورد فى الذكر الحكيم من المعرب - بخاصة - ·

وقبل أن نعرض للمقصود الأهم نقدم بين يدى ذلك : **خصائص اللغة العربية** ·

التى بها فاقت جميع اللغات ، وسمت على كل الألسنة ؛ لما ذناكرناه - آنفا - ولما نذكره فيما يلى

(خَصَائص اللغة العَرَبيَّة)

ونقتطف من مُزْهر السَّيُوطى ورُوْدًا ندبَّة ، وأزاهير عَطرة نلخصها فيما يلى[١]:

١ - **الوصف بالبيـــان** : الوصف الذى لا ترى وصفًا يدانيـه ، فيقول (عز وجل) : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُبِينٍ ﴾[٢]:

فجاء الوصف بأبلغ ما يوصف به الكلام ، وهو البَيَان[٣].

٢ - قلب الحروف عن جهاتها ، لتتم هندسة الكلمة ، ويسهل النطق بها ، يقولون : أى العرب : « مِيعاد » ولم يقُولُوا : « موْعَاد » جريا وراء الخفة ، فقد استجابت الواو الساكنة ، لما تقتضيه الكسرة ، فقلبت الواو ياء ، ذلك لأن الياء أخف من الواو ، فى حروف العلة (واى)[٤].

٣ - **ومما تقدم قولهم** : « يَا حَار » : والأصل : يَا حَارِثُ ، فرخمُوا المنادى بحذف حرف منه ، لجوءًا إلى التخفيف فى النطق ، وتحسين الصوت . . .

٤ - **ومن ذلك** : **تركهم** الجمع بين الساكنين ، وقد يجمع فى لغة غير العرب ثلاث سواكن ، وسر ذلك الميل للتخفيف ، لأن لسانهم لا يألف ذلك .

٥ - **اختلاسهم الحركات** فى مثل قول الشاعر :

فَالَيَومْ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحقبٍ . . . .

فيقولون : « فَالْيَومَ اشْرَبَ غَيْرَ مُسْتُحقب . . . .

إثماً مِنَ الله ، وَلاَ وَاغِلِ »

٦ - **ومن ذلك الإدغام** ، وتخفيف الكلمة بالحذف ، والإدغام تسبقه عملية إبدال ، ليدغم المثماثلان ، والمتقاربان مخرجاً والحذف فى مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَم

---

(١) ذكر ذلك السيوطى فى مزهره جـ١ ص ١٨٧ إلى ٢٠٠ ونقله عن ابن فارس وهو النوعُ [الثانى ، والعشرون] معرفة خصائص اللغة .

(٢) الآيات ١٩٢ ، . . . من سورة الشعراء .

(٣) انظر جـ١ ، ص ١٨٧ المزهر .

(٤) انظر كتابنا المقال : فى الإعلال ، والإبدال تحت الطبع .

أَكُ بَغيًّا)[1] الأصــل « أَكُنْ » وجزْمُ الفعــل بكمْ بالسكون على النون المحذوفة تخفيفًا ·

٧ – قد يضمرون الأفعال ، قالوا : « امْرَأ اتَّقَى الله » وقد أَضْمَرُو الفعل مع فاعله ·

٨ – **وفى القمة من الخصائص** : أوصاف السَّيف ، والرُّمْح ، والأَسَد وغير ذلك مما يسمى المترادف · · · ·

١ – جمع الهمدانى للأَسَد خَمْسمائة اسم ·

٢ – وجمع الأصْبَهانى من أسماء الدواهى ما يزيد على أربعمائة ·

٤ – وافتخر الأصمعى أمام الرشيد ، وقال : « أَلاَ أكُونُ كَذَلكَ يا أميرْ المؤمنينَ وقد حَفظْتُ للحَجر سَبْعينَ اسْمًا ·

وغير ما تقدم كثير ، نكتفى منه بهذا القدر ، فى هذا الشأن ·

٩ – للعرب من الجمل المحكمة ، والعبارات المتقنة ، ما لا يوجد نظيره فى اللغات الأخرى ·

ومن ذلك : « يَدُ الدَّهر ، وتَخَا وَصَتَ النُّجوم ، وَمَجَّت الشَّمْسُ ريقَهَــا ، وذَرَّ الفَىْء ، ومفَاصل القوْل ، وأَتَى بالأَمْر من فُصِّه ، وهو رَحْبُ الُعَطَن ، وغَمْر الرِّدَاءَ · · · وهُو جُذَيْلها المحكلَّك ، وعُذَيْقُها المُرجَّب · · · وغير ذلك كثير · · ·

١٠ – ما فى كتاب الله تعالى أجلّ ، وأَسْمَى ، وأبلغ ، وأَوْجَز · · · · كقوله تعالى : ﴿ ولَكُم فِى القِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾[2]· وقوله تعالى : ﴿ يَحسَبُونَ كُلَّ صَيَحة عَلَيهم ﴾[3].

١١ – ومن خواص العرب حفظ الأنساب ، وما رأينا أمة عنيت بها عناية العرب ، وقد حفلت بذلك لغتهم العظيمة ·

قال الله تعالى : ﴿ يأَيُّهَا النَّاسُ : إنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ ، وأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُم شُعُوبًا ، وقبائلَ لِتَعَارَفُوا · · ﴾[4].

---

(١) من الآية ٢٠ من سورة مريم ·

(٢) من الآية ١٧٩ من سورة البقرة ·

(٣) من الآية ٤ من سورة المنافقون ·

(٤) من الآية ١٤ من سورة الحجرات ·

ويقول السيوطى : « فهى آية ما عمل بمضمونها غيرهم »[1].

١٢ – **انفراد العرب بالهمز** فى عرض الكلام ، مثل « قرأ ، وسَأَل . . . » ولا يكون ذلك فى شتى اللغات إلا ابتداء .

١٣ – ومما اختصت به لغة العرب من الحروف : « الحاء ، والطاء » . وزعم قوم أن « الضَّاد مقصورة على لغة العرب ، دون سائر الأمم . . .

١٦ – **الإعراب :**

وهو مختص باللغة العربية ، وقد أفاض السيوطى فى ذكر محاسنه ، إذ « فيه تَمَيَّزُ المعانى ، وتوقف على أغراض المتكلمين . » .

وضرب لذلك أمثلة نكتفى منها بما يلى :

ا – لو أن قائلا قال : « مَا أَحْسَن زَيْد » – غير مُعْرَب ، لم يوقف على مراده فإذا قال : « مَا أَحْسَنَ زَيْدًا ! » أَوْ مَا أَحْسَنَ زَيدٌ ؟ أَوْ مَا أَحْسَنَ زَيْدٌ . » .

أبان بالإعراب عن المعنى ، الذى أراده :

بأنه تعجَّب ، أو استَفْهَم ، أَونَفَى .

ويقول : « ولِلْعَربَ فى ذلك ما ليس لغيرهم ، فهم يفرقون بالحراكات ، وغيرها بين المعانى .

فمثلا : مفْتَح « للآلة التى يفتتح بها ، ومَفْتَح لموضوع الفتح ، ومقَصّ : لآلة القص ، ومقَصّ للموضوع الذى يكون فيه القصّ . . .

يريد : بذلك أن يقول : إن اللغة العربية الغنية بالاشتقاق تشتق من المصدر الواحد أشياء كثيرة ، تتفق فى أصول الحروف ، وتختلف فى المعانى التى من أجلها كان الاشتقاق ، مع ما يضاف إلى الأحرف الأصلية .

ب – **قالوا :** امْرأةٌ طَاهِر مِنَ الْحيَضْ » ؛ لأن الرجل لا يشركها فى الحَيْض فلا تأتى التاء الفارقة بين المذكر والمؤنث .

ويقولون : « امرأة طَاهِرة من العيُوب ؛ لأن الرجل يشركها فى هذه الطهارة ، فلا بد من التاء الفارقة .

جـ – **ويقولون :** « كَمْ رَجُلاً رَأَيْتَ » ؟ مستفهمًا ، مستُخبرا ، ويقولون « كَمْ رَجُلِ رَأَيْتُ » فى الخبر ، وإرادة التكثير .

---

(١) جـ١ ص ٩٠ من المزهر .

١٧ - **التصريف :**

ويقول عنه السيوطى : « من فاته علمه فاته المُعظَّم » .

ونقتطف من أمثلته شيئا :

ا - **نقول :** « وَجَد » : كلمة مبهمة ، وعند التصريف تفصح عن مكنونها .

تقول في المال « وجداً »[١] وفى الضالة « وِجْدَانًا » وفى الغضب مَوْجِدَة ، وفى الحزن وَجْدًا . » .

ب - **مادة « قسط »** يقال القاسط للجائر الظالم ، فَاسْم الفَاعل من الثلاثى ، فإذا دخلت همزة السلب على الفعل قلنا : « أَقْسَطَ » أَىْ سَلَبَ الظلم ، والجور ، واسم الفاعل « مُقْسِط » وهو العادل[٢].

فتحول المعنى بالتصريف من الجور إلى العدل .

١٨ - **ومما تقوله العرب ، لاغير :** « عَادَ فُلاَنٌ شَيْخًا » ولم يكن شيخًا قَطّ .

« وعَادَ الماءُ آجِنًا » وهو لم يكن آجِنًا ، فيعود .

وعلى ذلك : جاء قول الله تعالى : ﴿ حَتَّى عَادَ كَالعُرجُونِ القَدِيمِ ﴾[٣] ولم يكن عرجونا قبل .

١٩ - من سَنَن العرب فى كلامهم مخالفة ظاهر اللفظ معنَاه ، كقولهم فى المدح : « قَاتَلَه اللهُ ما أَشْعَرَه ! » فهم يقولون هذا ، ولا يريدون وقُوعَه .

كما يقولون : « هَبِلَتْه أُمُّه ، وثَكِلَتْهُ » ! وهذا عند التعجب من إصابة الرجل فى رميه ، أو فى فعْل مَفْعَله . . .

٢٠ - **الاستعارة :** من سنَن العرب فى أساليبهم ، والخيال بابه واسع فسيح ، يقولون عند تفرق الجماعة : « انْشَقَّتْ عَصَاهُمْ » .

وفى اشتداد المعركة « كشَفَت عَنْ سَاقِها الحَرْبُ » .

٢١ - **الحذف ، والاختصار :** مما جرت عليه أساليب العرب .

يقولون : « والله أَفْعَل ذَاكَ » يريدون : لا أفعَل . . . ويقولون العكس .

---

(١) فى المختار « مادة (وجَدَ) « وجد مطلوبه يَجِدُه - بالكسر وجودًا ، ويجُد - بالضك لغة عامرية ، لا نظير لها فى باب المثال . » .

(٢) انظر كتابنا تصريف الأفعال .

(٣) من الآية ٣٩ من سورة يس .

٢٢ - **الزيادة** ، وقد جرت أساليب العرب عليها :

أ - **فى الأسماء** : ﴿ ويَبقَى وَجهُ ربّكَ ﴾[1] أى : يبقى ربُّكَ .

ب - **فى الأفعال** : ﴿ لَيسَ كَمثله شَىءٌ ﴾[2] .

جـ - **فى الحروف** : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِى إِسرَاءِيلَ عَلَى مِثلِـهِ ﴾[3] أى : عليه .

٢٣ - **الزيادة فى حروف الاسم** :

إما للمبالغة ، وإما للتسوئة ، والتقبيح ، نحو : « رعَشن » للذى يرتعش ، ورُزْقُم : للشديد الرَّزق ، وشدْقُم : للواسع الشدق ، وطرمَّاح : للمفرط الطول ، وسمعنة : للكثيرة السَّمع ، ونظرتة : لكلثيرة التَنَظر .

٢٤ - الزيادة ، والتكرير فى حروف الفعل مبالغة ، يقولون : احلَولَى ، للزائده فى الحلاوة ...

٢٥ - **التكرير** ، والإعادة إرادة الإبلاغ ، والتنبه على الخطر ...

قَالَ الحارثُ بنُ عَبَّاد :

قَرِّبا مَربطَ النَّامَة منِّى لَقحتْ حَربُ وائل عَنْ حِبَال

وكرَّر : قرِّبَا مَربَطَ النَّعَامَة منِّى ..... فى أبيات تالية كثيرة

٢٦ - ومن سَنَن لُغَة العَرَبَ : إضافَةُ الفعْل إلى ما لَيْسَ فَاعلاً فى الحقيقة .

يقولون : « أَرَادَ الحائطُ أَنْ يَقَعَ » : إذَا قَالَ ، « وفُلاَنٌ يُرِيُد أَنْ يَمُوتَ » . إذا كَان محتَضِرًا .

والمجاز العقلى باب واسع فى البلاغة العربية ....

٢٧ - قد تذكر العرب **الواحد** ، **وتريد الجمع** ، يقولون :« ضَيْف ، وعَدُوّ » : قال الله تعالى : ﴿ إنَّ هَؤُلاَء ضَيفى ﴾[4] وقال : ﴿ ثُمَّ نُخرجُكُم طفلاً ﴾[5].

وعكس ذلك : ذكر الجمع ، والمراد واحد ، أو اثنان ، قال تعالى : ﴿ إنْ يعفَ عَنْ طائفة منكم ﴾ والمراد واحد .

---

(١) من الآية ٢٧ من سورة الرحمن .

(٢) من الآية ١١ من سورة الشورى .

(٣) من الآية ١٠ من سورة الأحقاف .

(٤) من الآية ٦٨ من سورة الحجر .

(٥) من الآية ٥ من سورة الحج .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ من وَرَاء الحَجرَات ﴾[1] والمنادى واحد ·

وقال تعالى : ﴿ فَقَدْ صَغَتْ مكُوبُكُمَا ﴾[2] وهما قلبان : قلب عائشة ، وقلب حفصة ﵄ ·

٢٨ – ومن سَنَن العرب : مخاطبة **الواحد بلفظ الجمع** ، فيقال للرجل العظيم : « انظُروا فى أمْرى » ؛ لأن العظيم يقول : « نحنُ فَعَلْنَا كذَا » ·

٢٩ – ومن سَنَن العرب : أن تذكر جماعة ، وجماعة ، وواحد ، ثم تخبر عنهما بلفظ الاثنين كقول الشاعر :

إنَّ المنَّيةَ ، والحُتُوفَ : كلاُهُمَا بوفى الْمَحارِم يَرْقُبَان سَوَادى

٣٠ – ومن **سنن العرب** : أن تخاطب الشاهد ، ثم تحول الخطاب إلى الغائب ، أو تخاطب الغائب ، ثم تحوله إلى الشاهد ·

وهو الالتفات ، وهو ضرب من البلاغة جليل ·

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِن لم يَستَجِيبُواْ لَكُم ﴾[3] : الخطاب للرسول الأمين ، ثم قال للكفار ﴿ فَاعلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِل بِعِلم الله ﴾[4] ويدل على ذلك قوله : ﴿ فَهَل أَنتُم مُسلمُونَ ؟ ﴾[5] .

والالتفات ضرب من البلاغة عظيم عريق · · · ·

٣١ – ومن سنَنَها : أنها تنسب الفعل إلى اثنين ، وهو لأحدهما ، قال الله تعالى : ﴿ مَرَجَ البَحرَينِ يَلتَقِيَانِ ، بَينَهُمَا بَرزَخٌ لاَّ يَبغِيَان ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ يَخرُجُ منهُمَا اللُّؤلُؤُ وَالمَرجَانُ ﴾[6]

وإنما يخرجان من الملح ، لا العذب ·

وإلى الجماعة ، وهو لأحدهم ، قال تعالى : ﴿ وَإِذ قَتَلتُم نَفسًا فَادَّارأتُم فِيهَا ﴾[7] والقاتل واحد ·

---

(١) من الآية ٤ من سورة الحجرات ·

(٢) من الآية ٤ من سورة مريم ·

(٣،٤،٥) من الآية ١٤ من سورة هود ·

(٦) الآيات ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ من سورة الرحمن ·

(٧) من الآية ٧٢ من سورة البقرة ·

وإلى **أحد الاثنين** وهو لهما كقوله تعالى : ﴿ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرضُوهُ ﴾[1].

٣٢ - ومن سنَنَها : أن **تأمر الواحد بلفظ** أمر الاثنين ، نحو « فَعَلا ذَلكَ » ويكون المخاطب واحدًا .

وعلل لذلك الفراء : بأن الرفقة أدنى ما تكون ثلاثة نفر ، فجرى كلام الواحد على صاحبيه ، ألا ترى أن الشعراء أكثر الناس قولا : يَا صَاحِبَّى » و « يَا خَليلَىّ » ؟

٣٣ - ومن **سنَنَ العرب** : أن تأتى بلفظ الماضى ، وهو حاضر ، أو مستقبل ، أو بلفظ المستقبل ، وهو ماض من ، نحو قوله تعالى : ﴿ أَتَى أَمرُ الله ﴾[2] أى : يأتى ، وقوله تعالى : ﴿ كُنتُم خَيرَ أُمَّة أُخرجَت للنَّاس ﴾[3] أى : أنتم ، وقوله تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُواْ مَا تَتلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلك سُلَيمَانَ ﴾[4] أى : ما تلت ، وأن تأتى بالمفعول بلفظ الفاعل ، تقول : « سرٌّ كَاتم » أى : مكتُوم ، و« ماءُ رَانقٌ » أى : مَدْفوق ، و « عيشَة رَاضيَة » أى : مَرْضىٌّ بها ، و « حَرَمًا آمنًا » أى : مأمُونًا فيه ، وبالفاعل بلفظ المفعول نحو : « عَيْش مَغْبُون » أى : غَابن . . . من الغَبْن .

٣٤ - ومن سنَنَ العرب : وصف الشىء ، بما يقع فيه ، نحو « يَومٌ عَاصفٌ ، ولَيْلٌ نَائمٌ ونَهارٌ سَاهرٌ » .

وذلك : باب من المجاز واسع ، وعظيم . . .

٣٥ - **ومن سنَنَها** : التوهم ، والإبهام ، وهو : أن يتوهم أحدهم شيئا ، ثم يجعل ذلك كالحق ، منه قولهم : « وَقَفْتُ بالرَّبْع أَسْأَلُه » وهو أكمل عقلاً من أن يَسْأل رسمًا ، يعلم أنه لا يسمع ، ولا يعقل ، لكنه تفجع لما رأى السكَنَ رحلُوا ، وتوهم أنه يسأل الربع : أين انْتَأوا ، وذلك كثير فى أشعارهم . . .[5]

٣٤ - ومن سنَنَ العرب : **الفَرْق بين ضدّين** بحرف ، أو حركة ، كقولهم :

---

(١) من الآية ٦٢ من سورة التوبة .

(٢) من الآية الأولى من سورة النحل .

(٣) من الآية ١١٠ من سورة آل عمران .

(٤) من الآية ١٠٢ من سورة البقرة .

(٥) ولقد أكثر من ذلك شعراء المهاجر ، واستنطقوا كل شىء ، وأتوا فى ذلك بالعجب العاجب .

« يدْوى » : من الدَّاء ، و « يُدَاوى » : من الدَّوَاء[1] ، و « يَخْفر » : إذا نَقَض ، و« يخفر »[2] إذا : أجار من خَفَر ، و « لُعَنَة » : إذا أكثر من اللَّعْين ، و « لَعْنَة : إذا كان يُلْعَن » .

و « صُرَعة » إذا كان يصرع الناس كثيرًا ، و « صَرْعَة » : إذا كان يصرعه غيره وجاء في اللغة من ذلك قد غير يسير ....

٣٥ - ومن سنَنَ العرب : أن **البسط بالزيادة** في عدَد حروف الاسم، والفعل .

ولعل أكثر ذلك لإقامة الوزن الشعرى ، وتسوية قَوَافيه :

قال الشاعر :

ولَيْلة خَامدَة خمُودَا طَخْيَاء تَفْشَى الجدىَ ، والفَرْقُودَا

فراد في « الْفَرْ قَد » الواو ، وضم لأجلها الفاء ؛ لانعدام فَعْلُول في كلامهم

وقد زادوا الواو في قوله :

لَوْ أَنَّ عمرًا هَمَّ أَنْ يَرْقُودَا

أى : يَرْقُد .

٣٦ - ومن سنَنَ العرب : القبص ، محاذاة للبسط ، وهو : النقصان من عدد الحروف ، كقوله :

غَرْثَى الْوِشَاحَيْن ، صُمُوت الْخَلْخَل

أى : الْخَلْخَال .

ويقولون :

دَرَسَ المْنَا بمتَالِعٍ ، فَأَبَانِ

يريد : المْنَازِل .

ومن ذلك : باب الترخيم في النداء ، وغيره ضرورة ...

وجاء عن شاعرهم :

---

(١) مادة (ذوى) : « ... وقد دوى ... أى : مرض ، وأدواه غيره : أمرض ، وداواه : عالجه ... مختار .

(٢) مادة (خفر) الخفير : المجير ... خفر الرجل : أجاره ... وأخفره : نقض عهده ... مختار .

لَاهِ ابْنُ عمِّك ، لا أفْضَلْتَ فى حَسَبٍ عَنِّى ، ولا أنْتَ دَيَّانى ، فَتَخْزُونى يريد : لله ابن عمك[1]!

٣٧ - ومن سنَنَ العرب : الإضمار :

للأسماء : نحو : « ألاَ يا اسْلَمى ... » أى : يا هذه ...

وللأفعال : نحو : « أثَعْلَبًا ، وتَفِرّ .. » أى : أى : أَرَى ثعلبًا ...

ومن ذلك : إضمار القول كثيرًا .

وللحروف : كقول الشاعر :

ألا أيُّهذا الزَّاجرى أَشْهَدَ الْوَغَى ....

أى : أَنْ أَشْهَدَ ....

٣٨ - ومن سَنَنَها : إقامة الكلمة مقام الكلمة ، كإقامة المصدر مقام الأمْر كقوله تعالى : ﴿ فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾[2].

والفاعل مقام المصدر ، كقوله تعالى : ﴿ لَيسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾[3] أى : تكذيب .

والمفعول مقام المصدر ، نحو : ﴿ بِأَيِّيكُمُ المفْتُونَ ﴾[4] أى : الفتنة .

والمفعول مقام الفاعل كقوله تعالى : ﴿ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾[5] أى : ساترًا .

ووراء جميع ما تقدم حال ، وجاء التعبير مطابقا لمقتضى الحال ، ووراء كل تعبير نكتة بلاغية رائعة .

وعلينا أن نُغْرَى بالبحث فى هذه النكات ، والجرى وراءها ، ففى ذلك سمو ، وذوق ، واقتدار ...

٣٩ - **ومن سَنَن العرب** : تقديم الكلام ، وهو فى المعنى مؤخر ، وتأخيره ، وهو فى المعنى مقدم .

---

(١) وهذا الأسلوب من أساليب التعجب السماعى ، وهو كثير .

انظر البيت فى كتابنا شرح ألفية ابن مالك للهوارى - تحت الطبع .

(٢) من الآية ٤ من سورة محمد .

(٣) من الآية ٢ من سورة الواقعة .

(٤) من الآية ٦ من سورة القلم .

(٥) من الآية ٤٥ من سورة الإسراء .

كقول الشاعر :

مَا بَالُ عينكَ منْهَا الْمَاءُ ينْسكبُ ؟ . . . .

أراد : ما بَالُ عَيْنك يَنْسكبُ مِنْها الْمَاءُ .

وقال تعالى : ﴿ ولَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾(1) . . . . .

٤٠ – ومن سنَنها : أن تعترض بين الكلام ، وتمامه ، نحو : « أَعْمل – واللهُ نَاصيرى – ما شِئْت » فجاء الاعتراض بالدُّعَاء . . .

وهو باب من أبواب علم المعانى جليل القدر . . . .

٤١ – ومن سنَنَها : أن تشير إلى المعنى إشارة ، وتومى إيماء ، دون التصريح .

تقول العرب : « طَوِيلُ النِّجادَ » أى : طويل القامة ، لطول حمائل السيف .

وتقول : « رَفِيعُ العمَاد » أى : عمود الخيمة ، أى : عظيم ، ورئيس ؛ لأن طول عماد الخيمة إنما يكونَ لرؤساء القبائل ، والعشائر . . . .

وهذا الباب عريق عظيم من علم البيان ، وهو باب الكناية ، وهو باب من البلاغة رفيع . . . . .

٤٢ – ومن **سنَنهَا** : الكفّ .

وهو أن تكف عن ذكر الخبر ، واكتفاء بما يدل عليه الكلام .

قال الشاعر :

إِذَا قلْتُ سيرُوا نَحْو لَيْلَى لَعَلَّهَا جرَىَ دُونَ لَيْلَى مَائِلُ الْقَرنِ أَعْضَبُ

فقد ترك خبر « لعَلَّها » اكتفاء بما ذكره بعد ذلك . . .

٤٣ – **ومن سنَنَها** : أن تعبر الشىء ما ليس له ، يقول قائلهم : « مرَّ بَيْن سَمْع الأَرْضِ ، وبَصَرهَا » . . . . .

٤٤ – **ومن سننها** : أن تجرى الموات ، وما لا يعقل فى بعض الكلام مجرى بنى آدم كقَوْل القائل :

لَقَد ضَجَّت الأَرْضُونَ . . .

---

(1) من الآية ١٢٩ من سورة طه .

وقال تعالى : ﴿ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسبَحُونَ ﴾[1] فَالْوَاوُ : لجماعة العقلاء ، ولكنها استخدمت لما يَسْبح فى ملكوت الله تعالى . . . .

والأرضون : ملحق بجمع المذكر السالم فى إعرابه ؛ لأن شروط الجمع لا تنطبق عليه . . . .

٤٥ - ومن سَنَنها : المحاذاة :

وذلك : أن تجعل كلاما بحذاء كلام ، فيؤتى به على وزنه لفظا ، وإن كانا مختلفين ، يقولون : « الغَدَايَا ، والعَشَايَا » .

ويقولون : « وَزَنْتُه فَاتَّزَن ، وكلْتُه فاكْتَال » أى : استوفاه كيلاً ، ووزنًا . . . .

ومنه قوله تَعَالى : ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللهُ ﴾[2] أى : أُبطل مكْرُهم ، أو جازَاهم عليه . . .

٤٦ - ومن سننها : **الاقتصار على بعض** الشىء ، وهم يريدون كله .

يقولون : « قعد على صدر راحلته ، ومضى » أى : راحلته . . .

ومن **ذلك قوله تعالى** : ﴿ وَيَبقَى وَجهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكرَامِ ﴾[3] أى : ربك .

وقوله تعالى : « ويحذِّرُكم اللهُ نَفْسَهُ »[4] أى : إيَّاه .

ومن **النافع المفيد** : أن نسجل ما نقله السيوطى عن ابن فارس حيث قال :

« قال : وقد جاءَ القرآن بجمع هذه السنن ، لتكون حجة الله عليهم آكد ، ولئلا **يقولوا** : إنما عجزنا عن الإتيان بمثله ؛ لأنه بغير لغتنا ، وبغير السنن التى نستنها ، فأنزله (جل ثناؤه) بالحروف التى يعرفونها ، وبالسنن التى يسلكونها فى أشعارهم ، ومخاطباتهم ، ليكون عجزهم عن الإتيان بمثله أظهر ، وأشْعَر »[5] .

وقد نقل السيوطى عن الفارابى كلاما نقتطف بعضه ، وذلك فيما يلى :

« هذا اللســان كلام أهل الجنــة ، وهو المنزَّه من بين الألسنــة عن كل

---

(١) من الآية ٤٠ من سورة يس .

(٢) من الآية ٥٤ من سورة آل عمران .

(٣) الآية ٢٧ من سورة الرحمن .

(٤) من الآية

(٥) ١/١٩٨ المزهر .

نقبصتـة . . . فبنى مبانى بابن بها جميع اللغات : من إعراب ، أوجده الله له ، وتأليف بين حركة وسكون حلاّه به ، فلم بجمع بين ساكنين ، أو متحركين ، متضادين ، ولم يلاق بين حرفين ، لا يأتلفان ، ولا يعذب النطق بهما ، أو يشنع ذلك منهما فى جرس النغمة ، وحسن السمع ، كالغين ، مع الحاء ، والقاف مع الكاف ، والحرف المطبق فى غير المطبق ، مثل تاء الافتعال مع الصاد ، والضاد ، فى أخوات لهما . . . »[1].

* * *

---

(١) ١/١٩٨ المزهر .

مَلْحُوظَات هَامَّة عَلَى الخصائص المتقدمة

١ - الخصائص المتقدمة :

سجلها الإمام السيوطى[١] : نقلا عن عالم اللغة ، وفقيهها : ابن فارس[٢] ، فى كتابه « فقْه اللُّغَة » .

ونعرض لذلك فيما يلى :

١ - لعلَّ من غير المسلَّم به : أن هذه الخصائص جميعها تخص اللغة العربية فقط ، مع تسليمنا بأنها أشرف اللغات ، وأعلاها قدرًا ، وأنها لغة كتاب محفوظ ، حفظها الله (عز وجل) بحفظه ، وأودع فيها من الخصائص ، ما لم يجتمع لغيرها من اللغات ...

وأنهـا لغة أهل الجنة[٣] ، وأهل الجنة خالدون فيها أبدًا ، فَتَخْلُد لغتهم ،

---

(١) السيوطى :

أبو الفضل : بالرحمن : جلال الدين ... نشأ يتيما ، ذكيا حُفَظَة ، أخذ عن مشايخ العصر فى كل علم ، أخذ النحو عن الشمنّى ، والسيرامى ، والكافيجى ، وسافر إلى الشام ، والحجاز ، واليمن ، والهند ، ومنحه الله تعالى من العلم ما قرت به عينه ...

صنف مئات المؤلفات ، توفى بالقاهرة سنة ٩١١هـ .

(٢) ابن فارس :

أحمد بن فارس بن زكريا ، بن محمد بن جيب ، أبو الحسين ، اللغوى ، القزوينى ، كان نحويا على طريقة الكوفيين ، سمع أباه ، وعلى بن إبراهيم بن سلمة القطان ، وقرأ عليه البديع الهمزانى ، وكان مقيما بهذان ، فحمل منها إلى الرى ، ليقرأ عليه أبو طالب فخر الدولة ، فسكنها ، وكان شافعيا ، فتحول مالكيا ...

وكان الصاحب بن عباد يتتلمذ له ، وكان كريما ، جوادًا ، وربما سئل ، فيهب ثيابه ، وفرش بيته .

صنف المجبل فى اللغة ... فقه اللغة ... المقاييس فى اللغة ... مات سنة ٣٩٥هـ بالرى .

(البغية ١/٣٥٢) .

(٣) ١/٢ لسان العرب .

روى عن ابن عباس ﷺ قال : أَحِبُّوا العرب لثلاث : لأنى عربى ، والقرآن عربى ، وكلام أهل الجنة عربى . » .

لذلك ، وفى الدار التى ذكر القرآن عنها أنها « . . . لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾[1] .

بل ذهب بعض الباحثين إلى أنها كانت لغة آدم ، ونشر البحث فى كبرى صحف القاهرة « الأهرام » ونقل ذلك الدكتور مصطفى محمود ، وعلى لسانه .

وذلك يفيد : أنها لغة أبى البشر ، ولغة العديد من أبنائه ، ولغة المكرمين منهم فى دار النعيم ، وذلك : أعطاها الاستمرار ، والخلود . . .

ومع كل ذلك : فإن الباحث المنصف ، لا يسعه إلا أن يسلم بأن هذه الخصائص وإن كانت للغة العربية ، فإن لا مانع من أن تكون فى لغة أخرى بعض تلك الخصائص ؛ لأنها عطاء من الله ، وعطاء الله تعالى غير منقوص ، ولا مجذوذ ، ولا محجوب ، فهو فضله يؤتيه من يشاء ، ويمنحه لما يشاء . . .

وذلك : لا يقدح فى منزلة اللغة العربية ، ولا يمثل أدنى نقيصة فيها . . .

ولقد جعل الله (عز وجل) اختلاف الألسنة كاختلاف الألوان من آيات الله ، التى لا تخفى على ذى بَصَر ، وبَصِيرَة ، ولا تُجحد إلا من جاحد للأَنْعُم ، ختم الله تعالى على سمعه ، وبصره ، وجعل على قلبه غشاوة . . . .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُم وَأَلْوَانِكُم ﴾[2] .

فاللغات كلها من إلهام الله ، وتعليمه ، وهى تهدف إلى البيان ، والتخاطب ، والالتقاء ، وإفراغ الشحنة التى فى القلب عن طريق اللسان ، فالكلام فى الفؤاد ، ويترجم عنه اللسان ، أو القلم وقديما قالوا : « الْقَلَمُ أَحَدُ الْلِسَانَيْنِ » .

وكل اللغات تهدف إلى الإبانة ، والإفصاح ، والإعراب عما فى القلب ، . . .

والإعراب عن مكنون النفس هو مرتبة أقل شأنًا . . .

والبيان المقترن بخصائص معينة ، مع مراعاة حال المخاطب ، والإبانة له على حب مقتضى الحال ، هو أشرف البيان . . . .

وهنا يمكننا أن نقول :

إن جميع اللغات ، وإن كانت تشترك فى الهدف ، والقصد ، وهو البيان ، إلا

---

(١) من الآية ٦٤ من سورة العنكبوت .

(٢) من الآية ٢٢ من سورة الروم .

أن اللغة العربية ترتقى فى مدارج الكمال ، وتسمو إلى لون من البيان فيه الحال ، ومراعاة مقتضى الحال ، وفيه من السَّبك ، والرصف ، وطرائق البيان ، ومحسنات الألفاظ ما لا يجتمع فى لغة أخرى ....

وعلى ذلك يمكن القول :

بأن بعض اللغات ، التى منح الله تعالى اللاهجين بها بعض الخصائص ، التى هى فى اللغة العربية ، إلا أنها فى لغة العرب كاملة ، تامة ، غير منقوصة ، وجَلَّ الله تعالى الذى ﴿ يَزِيدُ فِى الخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾[1].

وقديما قيل : « لَيْسَ التكحّل فى الْعَيْنَيْن كَالْكَحلِ » .

وشرف الذكر الحكيم على الكتب المنزلة كلها ، وهيمنته عليها ، يجعل للغة التى نزل بها هذه الكرامة ، وتلك المنزلة ... ، وذلك : لا يزرى باللغــات الأخرى .

ومما يزيد الأمر وضوحا ما جاء فى وصف اللسان العربى بأنه لسان مبين ، قال تعالى : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُبِينٍ ﴾[2].

وقد وصف رب العزة المانح ، المعطى اللسان العربى بأنه « مُبين » اسم فاعل من مصدر الفعل « أَبَانَ إبانَةً » ولم يوصف اللسان : بمعنى اللغة بأنه « بيِّن » ، وإنما وصف بأنه « مُبين » فكأنه كامل فى البيان ، قادر على تبيان ما ينطق به ، فهو بيِّن فى نفسه ، مُبيِّن لغيره ، مما يشتمل عليه من أمور الأحياء ، والحياة ، وتوضيح المناهج ، وتمهيد الطرائق ...

ويصفه جار الله الزمخشرى بأنه « .. ذُو بَيَانٍ ، وفَصَاحَة »[3].

وهنا يعن للباحث سؤال :

لم اقتصر الإمام ابن فارس على الخصائص ، التى سجلها ، والذى ينسج على منوالها يزيد فيها بما يفتح الله به من الخصائص .

والاعتذار عن الإمام ابن فارس فى أن الزمن قد تقدم به : القرن الرابع الهجرى ، ولم تتسع أبحاث البلاغة ، ولم يظهر على الساحة عمالقتها ، الذين

---

(١) من الآية الأولى من سورة فاطر .

(٢) من الآية ١٩٥ من سورة الشعراء .

(٣) ٢/ ٦٣٥ الكشاف .

خدموا علومها ، ونوعوا فُنُونها ، مع اختلاف مشاربهم ، ومناهجهم : من الذوق الفنى .... إلى القواعد المنطقية الجافة ....

٢ - **الإمام السيُّوطى** - نقل كعادته فى بعض الأحوال - نقلاً أمنياً ، دون أن تظهر شخصيته العملاقة الفذَّة ....

وبخاصة : أنه عاش فى قرن اتسعت فيه العلوم ،وتكاملت ، وكثرت التآليف ، والشروح ، والحواشى ....

وكان (رحمه الله) حُفَظَةً ، آتاه الله تعالى من العلوم مَا قرَّت به عينه ، ونفع به عصره ، والعصور المتأخرة .... إلى يوم الدين ، فى شتى ألوان المعارف ....

وكان يمكنه أن يزيد فى الخصائص ، أو أن يلقى عليها أضواء من علمه الغزير .

ويدلنا على ذلك : أنه عرض لبعض الخصائص ، فاستوفى البحث فى دقة ، وموضوعية ، واقتدار - كما سنعرض لبعض ذلك - إن شاء الله تعالى .

ولعل الإمام السيوطى : كان همه أن ينقل عن ابن فارس ، راضيًا بما سجله هذا الجهْذ العظيم ...

وفى كتبه الأخرى متَّسع لما يحب أن يستوفى البحث فيه ، وأن يزيد ما شاء الله له أن يزيد ، جريًا على أدب العلماء فى الأخذ ، والتناول ، والاعتراف بالسبق ...

٣ - قلب الحروف عن جهاتها :

اكتفى ابن فارس فى هذا الباب الواسع بمثال هو : « مِيعَاد » والأصل : « موْعَاد » قلبت الواو ياء ، استجابة للكسرة قبلها ...[1]

ولعله بذلك أراد أن يدل على الكثير بالقليل ... ولم يزد السيوطى ، مع أنه فارس الميدان فى هذا المضمار ...

والحق : أن جميع مباحث الإبدال ، دا الإعلال ، والقلب ، والإدغام ، ... إنما تهدف إلى هندسة الكلمة ؛ لتناسب الذوق العربى ، واللسان العربى ....

ولنأخذ مثالاً واحدًا : اقتداء بابن فارس ، ومتابعة للسيُّوطى ، فتقول :

---

(١) انظر كتابنا المقال فى الإعلال ، والإبدال . ص ٦٩ .

« **اصْطَبَرَ** » كانت الكلمة قبل هندستها بالإبدال : « اصْتَبَر » والمادة الأصلية (ص ب ر) زيدت الهمزة للتوصل بها إلى النطق بالساكن ، كما زيدت التاء ، لتدل على معنى بـه يصير الفعـل مركبـا ، وليـس بسيطًا ، والمراد : اتخـذ الصَّبر خلقًا ، وطبعـا ......[1]

والناظر إلى « اصْتَبَر » يجد : حرف صفير هو الصَّاد ، وحرفا مهموسا ، مَهْتُونًا هو التَّاء ، وحرف تردّد : هو الراء .

فقد وقعت التاء ، وهى حرف مهموس بين حرف صفير ، وحرف تردّد ، واللسان هنا حينما ينطق بالتاء بين الحرفين المتقدمين ، يكون كمن انحط من مرتفع ، إلى منخفض ، ثم يرتفع بالراء بعد ذلك ...

وهذا لا يناسب اللسان العربى ، الذَّرب ، الذَّرب ، فهداهم الله تعالى وألهمهم إلى إبدال التاء طَاءً ، ليعمل اللسان فى اتجاه واحد ...

وبذلك : صارت الكلمة « اصْطَبَر » كلمة مهندسة ، متلائمة مخارج الحروف ، لتكون اللبنة الأولى ، فى البناء ، والرصف ، وسمت إلى أن تكون فى آى الذكر الحكيم ﴿ فَاعبُدهُ وَاصطَبر لعبَادَته ﴾[2].

ومن ذلك : جاء الوزن لكلمة « اصْطَبر » على : « افْتَعلَ » عند ابن الحاجب ، رعاية للأصل ، ولخفة النطق بالوزن ، وجاء على « افْطَعْل » عند الرضى ، نظرا إلى المآل ، وإظهارًا للإبدال[3].

وهكذا : فإنك تجد هندسة للكلمات ، حتى تجرى على اللسان العربى .

وذلك : يتناول كثيرا من أبحاث الصرف ، وأبوابه .

٤ - مما ذكر من الخصائص المترادف :

والترادف : أن يدل لفظان مختلفان ، أو أكثر على معنى واحد ، باعتبـار واحد ، كالبُرّ ، والحنطة ، والقمح ، وكالثلج ، والجليد ، والجمد ، وكالإنسان ، والبشر .

والترادف : من أقوى العوامل ، التى نمت بها اللغة ، وكثرت مفرداتها ، ...

---

(١) انظر كتابنا تصريف الأفعال ص ٢٤٤ .

(٢) من الآية ٦٥ من سورة مريم .

(٣) انظر كتابنا تصريف الأفعال ص ٩٤ .

وانظر كتابنا بلوغ الأرب فى الواو فى لغة العرب ص ٢٥ إلى ٣٧ .

وقد نشأ الترادف من تفرق اللاهجين باللغة فى أول الأمر ، وفى أحقاب من مَسيرة اللغة - كما أسلفنا ٠

وعند التقارب ، والغربلة بقيت هذه الكثرة الكاثرة من المسميَّات لمسمّى واحد ٠

وقد أفاد الترادف الفنى المفرط ، ووسع آفاق اللاهجين بها ، وأعان الناشر ، والشاعر على تنوع السجع ، وغنى القوافى ، واتساع حروف الروى ، ٠ ٠ ٠ ٠

وإذا كان ابن فارس قد عرض للترادف بضرب أمثلة فإن علينا أن نضم إلى الترادف ما أطلق عليه علماء اللغة : المشترك ٠

والمشترك :

يأتى من تغاير اللفظين لتغاير المغيين « كإنسْ ، وجنّ ، ورجل ، وامرأة ، وسماء ، وأرض » ٠

وهذا النوع هو أكثر أنوع المشترك ألفاظا ، وأبعدها عن الإحصاء ٠

ومثل ذلك : أن يتفق اللفظان ، ويتباين المعنيان ، وذلك نحو كلمة « رجل » الدالة تارة على العضو المعروف من أعضاء الجسد ، وتارة على القطعة من الجراد ٠

ومثل ذلك : أن يتغاير اللفظان ، والمعنى واحد ، نحو : « قَعَد ، وجَلَس ، وقَامَ ، ووَقَفَ ٠ ٠ ٠ » ٠

والنوع الذى يدل على معنيين مختلفين ، فأكثر دلالة متساوية عند أهل اللغة نحو كلمة « إِنْسَان » المشتركة بين الواحد من بنى آدم ، وناظر العين ، والأنملة ، والأرض ، التى لم تزرع ، وحد السيف ، والسهم ٠ ٠ ٠

ومنشأ الاشتراك : اختلاف الواضع - كما ذكرنا -

وقد ألف العلماء كتبا فى المشترك ، كما ألفوا فى المترادف ٠

ومعرفة المقصود باللفظ تأتى من إدراك ما سبقه ، وما تأخر عنه من الكلام ٠ ٠ ٠ ٠

ولم يعرض ابن فارس للتضاد :

وينشأ التضاد من اختلاف الواضع ، وذلك : بأن يضع اللفظ لأحد المعنيين حىٌّ من أحياء العرب ، ويضعها لما يضاده حى آخر ، ويذيع الاستعمالان ، حتى يسمع كل حىّ بوضع الآخر ، فيأخذه عنه ، ويستعمله استعماله ٠ ٠ ٠ ٠

ومن أمثلة المتضاد : « شِمْت السيَّفْ : أغمدته ، و« شِمْت السيْفَ » : سَلَلْتُه ،

و « **الصارخ** » للمستفيث ، وللمغيث ،و « قَسَط » : جار ، وعَدْل ، و « أقْسَطَ » : عَدَل فقط . . . .

وكل ذلك : باعث على التفكير ، واستعمال العقل ، فى الوصول إلى المراد . . .

وجميع ما تقدم قد وضع اللغة العربية فى القمة ، والسّنام من بين اللغات الأخرى . . . .

٥ - الجمل المحكمة : الحِكَم :

وقد أورد ابن فارس كثيرًا من أمثلة الجمل المحكمة ، والتى عرض لها علم البلاغة :

وذلك فى مباحث علم المعانى .

ونقل **عنه ذلك السيّوطى** : دون إضفاء شرح ، أو تفسير .

ولتأخذ مما ذكره من النماذج قول الله (عز وجل) : ﴿ وَلَكُمْ فِى القِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾[1].

ولنقتطف من ثمار جار الله الزمخشرى[2] طرفا ، يضىء لنا الطريق . . . .

« كلام فصيح لما فيه من الغرابة ، وهو : أن القصاص قَتْل ، وتفويت للحياة ، وقد جعل مكانا ، وظرفا للحياة ، ومن إصابة محزّ البلاغة بتعريف القصاص ، وتنكير الحياة ؛ لأن المعنى ، ولكم فى هذا الجنس من الحكم ، الذى هو القصاص حياةٌ عظيمة . . . . »[3] .

وذلك بسبب أنهم كانوا يقتلون الجماعة بالواحد ، ويقتلون غير قاتله ، . . . وغير ذلك ، مما كانت الجاهلية الجهلاء تزينه لهم . . . .

---

(١) من الآية ١٧٩ من سورة البقرة .

(٢) الزمخشرى .

« محمود بن عمر . . . الزمخشرى ، أبو القاسم ، جار الله ، كان واسع العلم ، كثير الفضل ، غاية فى الذكاء ، وجودة القريحة ، متفننا فى كل علم ، معتزليا . . . حنفيا ، ولد فى رجب سنة ٤٩٧هـ ، ورد بغداد غير مرة ، وأخذ من أشياخ عصره ، وجاور بمكة . . . صنف كثيرا ، ومن ذلك الكشاف فى التفسير . . .

وغير ذلك . . . مات سنة ٥٣٨هـ . (البغية ٢/ ٢٧٩ - ٢٨٠) .

(٣) ١/ ٢٢٢ ، ٢٢٣ الكشاف .

« **فلما جاء الإسلام** بشرع القصاص ، كانت فيه حياة ، أىّ حياة ، أو نوع من الحياة ، وهى الحاصلة بالارتداع عن القتل ، لوقوع العلم بالاقتصاص ؛ لأنه إذا هم بالقتل ، فعلم أنه يقتص ، فارتدع منه سلم صاحبه من القتل ، وسلم هو من الْقَوَد ، فكان القصاص سبب حياة نَفْسَيْن »[1].

وجميل أن يفسر الحكمة الغالية حكيم ، له فى البلاغة باع طويل ، هو : جارُ الله الزمخشرى وأن يضفى على الحكمة ما يزيدها وُضُوحًا من عادات العرب ، وعلى التركيب من صافى قريحته ·

وقد فتح جار الله بما ذكره فى تفسير الآية الكريمة أبوابا ، ولج منها البلغاء بعده · · ·

يقول الخطيب القزوينى فى مختصره : موزانًا بين ما يفهم من الآية الكريمة ، وبين موطن فخرهم ببلاغتهم بقولهم « القتلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ » :

« **وفَضْلُه** على ما كان عندهم أوجز كلام فى هذا المعنى ، وهو : « القَتْلُ أَنْفَى للقَتْل » بقلة حروف ما يناظره منه ، والنص على المطلوب ، وما يفيده تنكير « حَيَاة » من التعظيم لمنعه كما كانوا عليه : من قتل جماعة بواحد ، أو النوعية أى الحاصلة للمقتول ، والقاتل بالارتداع ، واطراده ، وخلوه عن التكرار ، واستغنائه عن تقدير محذوف ، والمطابقة »[2].

أخذ القزوينى كلام الزمخشرى ، وأضاف عليه · · ·

والخلاصة : أنه فى مقام الموازنة عرض ما يلى :

١ - **قلة عدد** حروف جزء الآية : **عشرة أحرف** ، ومع التنوين ، أحد عشر حرفا ، وحروف كلامهم **أربعة عشر حرفا** ·

٢ - **النص** على المطلوب ، وهو الحياة · · ·

٣ - **التعظيم** ، الذى يفيده تنكير « حَيَاةٌ » أى : حياة عظيمة ، آمنة مستقرة · · ·

٤ - **منع ما كانوا** يفعلون فى الجاهلية من قتل الجماعة بواحد ، ومن قتل غير القاتل · · ·

---

(١) ١/٢٢٣ الكشاف ·

(٢) ٢/١٨٣ إلى ١٨٨ شروح التلخيص ·

٥ - **ومن النوعية** : أى : لكم في القصاص نوع من الحياة ، وهى الحياة الحاصلة للمقتول ، الذى يقصد قتله ، والقاتل الذى يقصد القتل بالارتداع ؛ لأن سيف القصاص مصلت على رقبة القاتل . . . .

٦ - الاطراد : إذ الاقتصاص مطلقا سبب للحياة ، بخلاف القتل ؛ لأنه قد يكـون أنفى للقتل ، كالذى على وجه القصــاص ، وقد يكون أَدْعَى له كالقتــل ظلمًا . . .

٧ - **الخلو من** التكرار : القتْل أنفى للقتْل .

٨ - **الاستغناء** عن تقدير محذوف ، وذلك : القتل أنفى للقتل من تركه . . .

٩ - المطابقة : بين القصاص ، والحياة . . .[1]

وقد نما البحث ، واتسع على يد العلماء بعد ذلك . . . .

ونشير إلى موازنة السيوطى فى كتابه « الإتقان فى علوكم القرآن » حيث قال :

ونعرض ذلك بشىء من التصرف فيما يلى :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَكُم فِى القِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾[2]: فإن معناه كثير ، ولفظه قليل ؛ لأنه معناه أن الإنسان ، إذا علم أنه متى قَتَل قُتِلَ كان ذلك داعيا إلى ألاَّ يقدمَ على القتل ، فارتفع بالقتل : الذى هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض ، وكان ارتفاع القتل حياة لهم .

وقد فضلت هذه الجملة على أوجز ما كان عند العرب فى هذا المعنى ، وهو قولهم : « القُتْل أَنْفَى للقَتْل **بعشرين وجها ، أو أكثر** . . .

الأول : أن ما يناظره من كلامهم ، وهو قولهم : القصَاص حَيَاةٌ » أقل حروفا فإنه حروفة عشرة ، وحروفُ القتل أنفى للقتل » أربعة عشر حرفا .

الثانى : نفى القتل لا يستلزم الحياة ، والآية ناصة على ثبوتها . . .

الثالث : أن تنكير « حَيَاةٌ » يفيد تعظيما - كما أسلفنا - . أى : فى القصاص حياة متطاولة . . .

الرابع : الآية مطردة بخلاف المثل ، فليس كل قتل أنفى للقتل . . .

أما القصاص ففية حياة أبدًا . . .

---

(١) انظر ٢/١٨٣ إلى ١٨٨ شروح التلخيص شرح الإمام السعد .

(٢) من الآية ١٧٩ من سورة البقرة .

الخامس : الآية خالية من تكرار لفظ « القتل » الواقع فى المثل ، والخلو من التكرار أفضل مما فيه تكرار ٠٠٠٠

السادس : الآية مستغنية عن تقدير محذوف ٠

والتقدير فى المثل « القتْل قصَاصًا أَنفى للقتل ظُلْمًا من تركه ٠

السابع : فى الآية طباق ؛ لأن القصاص يشعر بضد الحياة بخلاف المثل ٠

الثامن : اشتمال الآية على فنّ بديع هو : جعل أحد الضدين ، الذى هو الحيـاة ، واستقرار الحياة فى الموت مبالغة عظيمة ٠٠٠

التاسع : فى المثل توالى أسباب كثيرة خفيفة ، وهو السكون بعد الحركة ، وذلك مستكره ، فإن اللفظ المنطوق إذا توالت حركاته تمكن اللسان من النطق به ، وظهرت بذلك فصاحته ، بخلاف ما إذا تعقب كل حركة سكون ٠٠٠٠

العاشر : أن المثل كالتناقص من حيث الظاهر ؛ لأن الشىء لا ينفى نفسه ٠

الثانى عشر : اشتمالها على حروف متلائمة ، لما فيها من الخروج من القاف إلى الصاد ، إذا القاف من حروف الاستعلاء ، والصاد من حروف الاستعلاء والإطباق ، بخلاف الخروج من القاف إلى التـاء ، التى هى حرف منخفض فهو غير ملائم للقـاف ٠٠٠ والخروج من الصـاد إلى الحـاء أحسن من الخروج من اللام إلى الهمزة ، ٠٠٠٠٠

الثالث عشر : حسن الصوت فى النطق بالصاد ، والحاء ، والتاء ، ولا كذلك تكرير القاف ، والتاء ٠٠٠

الرابع عشر : سلامة الآية من لفظ القتل ، المشعر بالوحشة ، بخلاف لفظ الحياة ، فإن الطباع أقبل له من لفظ القتل ٠٠٠٠

الخامس عشر : لفظ القصاص يشعر بالمساواة ؛ لأنه ينبىء عن العدل ، بخلاف مطلق القتل ٠

السادس عشر : الآية بنيت على الإثبات ، والمثل على النفى ، والإثبات أشرف من النفى ٠٠٠٠

السابع عشر : فى القصاص حياة ، يفهم المراد من أول وهلة ، أما المثل فإنه لا يكاد يفهم إلا بعد فهم أن القصاص هو الحياة ٠

الثامن عشر : فى المثل بناء أفعل التفضيل من فعل ، متعدّ ، والآية سالمة منه ٠

التاسع عشر : « أفعل » التفضيل - فى الغالب - يقتضى الا شتراك ، فيكون

ترك القصاص نافيا للقتل ، ولكن القصاص أكثر نفيا ، وليس الأمر كذلك والآية سالمة من ذلك ....

أى : حينما يكون « أفعل التفضيل » على بابه ، وهو الأكثر ورودًا ، والأصل .

العشرون : الآية رادعة عن القتل ، والجرح معا ؛ لشمول القصاص لهما ، والحياة - أيضا - فى قصاص الأعضاء ....[1]

ومن ذلك نقول :

إن السيوطى حينما عرض ما ذكره ابن فارس ، فى هذا الموضع إنما كان لنقل ما ذكره ابن فارس ، دون زيادة ....

وقد أفاد الإمام السيوطى من أبحاث البلاغة ، وعلم الأصوات ، ومخارج الحروف ، وعلم العروض ، والنحو ، والصرف ....

وحينما عرض للموازنة كان مستوعبا جميع هذه الثقافات ، والعلوم ، والمعارف ، ولتواضعه لم يغلق باب الاجتهـاد لمن فتح الله تعالى عليه بالمزيد حيث قال :

« وقد فضلت هذه الجملة على أوجز ما كان عند العرب فى هذا المعنى ، وهو قولهم :

« القَتْل أَنْفَى لِلْقَتْل » بعشرين وجها ، **أو أكثر** »[2] .

فقد أعمل السيوطى فكره ، وأفاد من ثقافته الواسعة ، الملونة ، فى شتى أنواع العلوم ، والمعارف ، وترك الباب مواربًا لمن يأتى بعده ، وقد يفتح عليه بزيادة موضوعية ؛ لأنه الله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء .

والنوع الذى عرض له ابن فارس من الإيجاز هو إيجاز **القِصَر** :

وفيه تكون المعانى أوسع من الألفاظ ، التى تؤديها ....

ولم يعرض ابن فارس لإيجاز **الحذف** :

وقد عرض لهذا النوع السيوطى ، فى كتابه « الإتقان فى علوم القرآن »[3] .

كما أفاض فى ذلك علماء البلاغة فى كتبهم ....

---

(١) ٢/ ٩٣ ، ٩٤ الإتقان فى علوم القرآن .

(٢) ٢/ ٩٣ الإتقان فى علوم القرآن .

(٣) انظر ٢/ ٩٥ ، وما بعدها من الإتقان فى علوم القرآن .

٦ - **ذكر الإمام** ابن فارس اختصاص اللغة العربية بالإعراب ، وبالتصريف ٠

والإعراب : الإظهار ، والإبانة - فى الأصل ، ومن ذلك ما جاء فى الحديث الشريف : « ٠٠ والأيم تعرب عما فى نفسها » أى : تظهر ، وتُبِيِّن ٠

ونقل هذا اللفظ : الإعراب فى اصطلاح النحاة : إلى أنه تغيير يلحق أواخر الكلمات ، لاختلاف العوامل الداخلة عليها ٠

تقول : « نَجح محمدٌ » فمحمدٌ مرفوع / لأنه فاعل للفعل « نَجَح » ، وتقول : « هنأتُ محمدًا » منصوب ؛ لأنه مفعول به للفعل « هنَّأ » ، وتقول : « نظرتُ إلَى محمدٍ » : « فمحمد » مجرور استجابة لحرف الجر العامل ، والمختص بالأسماء ٠٠٠ وهكذا ٠

وتقول : « يفلحُ المجدّ » : يفلحُ » تجرد عن الناصب ، والجازم ، وتقول : « لَنْ يُفْلحَ حقُودٌ » : « فيفلحَ » منصوب « بلَنْ » ، وهى حرف مصدى ، ونصب ، واستقبال ٠٠٠ ينصب الفعل المضارع ٠

وتقول : « لَمْ يفْلحْ عَدُوّ لله ، ورسوله » « فيفلحْ » مجزوم « بلمْ » ولم : حرف نفى ، وجزم ، وقلب ٠٠٠٠

وهكذا : قد بان لنا أن الإعراب على آخر حروف الكلمات قد كان أثرا للعوامل الداخلة عليها : من عامل يقتضى الرفع إلى آخر يقتضى النصب ، إلى ثالث يتطلب الجر ، إلى رابع يقتضى الجزم ٠٠٠ وهكذا ٠

ولنلق بعض الضوء على مثال ابن فارس :

تقول : « مَا أَحْسَنَ زَيْدًا ! » : فأنت تتعجب من حُسْنِ زيْد ، لشىء خفى سببه عليك ، فإذا ظهر السبب بطل العجب - كما يقال - :

فهذا أسلوب تعجب ، وقد جاء « زَيْد » فيه منصوبا ، مفعولا به للفعل أحسن ٠

وتقول : « ما أَحْسَنَ زَيْدٌ » ؟ مستفهما ، فأنت تريد أن تفهم عن أى أجزاء زيد أحسن ، أو فعاله ٠٠٠

وهنا تتغير سمة السائل عند السؤال ، عنها عند التعجب من حسنه ٠٠٠ وتحتاج فى الترقيم إلى وضع علامة الاستفهام « ؟ » ٠

وقد تغيرت حركة الحرف الأخير من « زيْد » وجاء الضم ، بدل النصب ٠

وتقول : « ما أَحْسَنَ زيدٌ » وأنت تريد نفى الحسن عنه ، وكانت حركة الإعراب الضمة ....

ومن ذلك تقول :

إن لكل أسلوب من الأساليب الثلاثة حال ، ويقتضى أن تكون الإجابة - إن كانت مطلوبة - مراعاة مقتضى الحال .

ففى أسلوب التعجب نغمة السائل معينة ، وراحته النفسية ظاهرة ، ولا تمس الحاجة إلى جواب ؛ لأن المتكلم أظهر للسامع إعجابه من حسن زيد ...

وفى **أسلوب** الاستفهام تتغير سمة المتكلم ، وهو يريد من السامع جوابا ، ويستشرف له ....

وفى **أسلوب النفى** تتغير سمة المتكلم - أيضا - لأنه بنفى حسنا قد يكون مظنونا ، أو متوهما ... وهو لا يقتضى جوابا ؛ لأن الحكم قد انتهى عند هذا الحد ، وقد حَسُن السكوت من المتكلم ، والسامع لا ينتظر شيئا ...

ولو نظرت إلى طبيعة « مَا » فى الأساليب الثلاثة لوجدتها كما يلى :

ا - فى الأسلوب الأول « مَا » تعجبية مبتدأ ، فهى اسم ، وللنحاة آراء أخرى فيها ، يرجع إليها فى كتبهم ، وموسوعاتهم .

ب - وفى الأسلوب الثانى « مَا » استفهامية ، فهى : اسم ....

جـ - وفى الأسلوب الثالث : « مَا » حرف نفى ، مبنى على السكون ، لا محل له له من الإعراب .

وما تقدم ميزة هامة للغة العربية ، تقتضى عند الاتصال بالتخاطب ، إعمال الفكر ، وإيقاظ الذهن ، والشعور ....

ومما ذكره ابن فارس « كَمْ » :

وهى اسم لعدد ، مبهم الجنس ، والمقدار .... ومن ذلك : فإنها محتاجة إلى تمييز ، يبين ما ابنهم ...

وهى **تنقسم إلى قسمين** - مع الاتحاد فى الصورة :

ا - استفهامية .

ب - وخبرية .

ويشتركان فى أمور ، أبرزها : البناء على السكون - الدلالة على اسم العدد ،

عدم بيان الجنس ، والمقدار ، وجواز حذف المميز ، إذا دل عليه دليل ، ولزوم الصدر ، . . . .

ويفترقان فى أمور : أهمها :

الاستفهامية :

ا - بمعنى أى عدد .

ب - يستعملها من يريد الاستفهام .

جـ - تحتاج إلى جواب من المتكلم .

ء - **تمييزها يأتى** : مفردًا - فى الغـالب - منصوبـا ، إلا إذا دخل على « كَمْ » حرفه جر ، فإن يأتى مجرورًا ، ويمكن الفصل بينها ،وبين مميزها فى السعة .

هـ - **من حيث** الترقيم : تكتب علامة الاستفهام بعد الجملة . . . .

و - المبدل من الاستفهامية يقترن بالهمزة تقول ! « كم مالك » ؟ أعشرون أم ثلاثون ؟

الخبرية :

ا - يستعملها من يريد الافتخار ، والتكثير . . .

ب - لا تحتاج إلى جواب ؛ لأن القصد التكثير . . .

جـ - تمييزها : يكون جمعًا مجرورًا ، ويكون مفردًا مجرورًا ، والإفراد أكثر ، وأفصح ، ولا يفصل بينها ، وبين مميزها فى السعة .

جـ - الخبرية تختص بالماضى « كربّ » .

د - المبدل من الخبرية لا يقترن بالهمزة ، بخلاف الاستفهامية .

تقول : « كَمْ عَبيد لى » : خمسون ، بل ستون »[1].

وهذه الخصوصية للغة العربية جليلة القدر ، عظيمة الأثر . . .

إذ تجعل المتكلم يكون حاضر الذهن ، منفتح القلب لما يلقى على السامع ، كما يكون المخاطب كذلك ، حتى يتبين المقصود من الاتصال اللغوى . . .

أما التصريف :

فإن باب واسع نمت به اللغة نموًا منقطع النظير ، وتنوعت المعانى تبعا لذلك .

ولنضرب لذلك مثالا : للتصريف ، الذى يعنى الاشتقاق .

---

(١) ٧٨/٤ إلى ٨٣ شرح الأشمونى للألفية - بتدبر - .

المادة « ف هـ م) :

مصدر المادة : الذى يأتى ثالثا فى تصريف الفعل « فَهْم » :

ومن هذا المصدر نأخذ المشتقات الآتية ، التى لا تخلو حروف المادة من مشتق منها :

١ - **الفعـــل الماضى :** يأتى من حروف المـادة ، مع إضـــافة الزمن الماضى إليهـــا ...

٢ - **الفعل المضارع :** يأتى من حروف المـادة ، مع اقتران الحدث بالزمن الحاضر ، أو المستقبل ، القريب ، ومع حرف من حروف (أنيت) .

٣ - **فعل الأمر :** يأتى من الحدث ، مع اقترانه بالزمن الذى بعد زمن التكلم .

والخلاصة :

فالأفعال أحداث ، وتَنَوُّعهَا باعتبار زمن وقوع الحدث ...

٤ - **اسم الفاعل :** يأتى من مصدر الفعل ، مع بيان مَنْ وقع منه الحدث .

٥ - واسم الفاعل تستطيع أن تحوله من الثلاثى عند إرادة المبالغة ، والتكثير إلى **صيغ المبالغـــة :** فعَّال - مفْعَـال ، فَعَـــول ، فَعِيل ، فَعِل ، وهى الصيـغ المشهورة ...

٦ - كما تستطيع أن تحوله إلى صفة مشهبة باسم الفاعل ، عند إرادة الثبوت ، واللزوم « كَحَسَن » من « حُسْن » ، المأخوذ منه « حَاسِن » .

٧ - **اسم المفعول :** يأتى من مصدر الفعل المبنى للمجهول ، للدلالة على ما وقع عليه الفعل ....

٨ - **أفعل التفضيل :** تأخذه من المادة : الحدث ؛ للدلالة على أن اثنين اشتركا فى صفة ، وزاد أحدهما عن الآخر فيها ...

٩ ، ١٠ - **اسما الزمان ، والمكان :** تأخذهما من مصدر الفعل : الحدث ؛ للدلالة على زمان وقوع الفعل ، أو مكانه .

والصيغة واحـدة ، والتفرقة بالأسلوب ، الذى وقع فيه اسم الزمان ، أو المكان ...

الأمثلة :

الماضى : فَهِمْ ، والمضارع ، يَفْهم ، والأمر : افْهَم ...

واسم الفاعل : فَاهِم ، واسم المفعول : مَفْهُوم ، وصيغة المبالغة « فَهِم .. »

والصفة المشبهـــة « كجميل » من مصدر الفعـــل « جَمُل » واسم التفضـــل : « خَالد أَفْهَم من بكْر » .

واسم الزمان : « مَفْهِم الطالب السَّحر » والمكان « مَفْهِم الطالب المسجد » .

ومن ذلك ندرك :

أن حروف المادة (فَهْم) هى المصدر ، وهو الحدث ، واسم المعنى . . .

وجاء **الاشتقاق** باصطحاب حروف المادة ، مع زيادة لما أريد الاشتقاق له .

وقد نمت اللغة بالاشتقاق نموًا عظيما ، واتسعت آفاقها اتساعا كبيرًا . . .

مما صح أن يعتبر هذا التصريف خاصة من خواصّها . . . .

وقد اتسع ابن فارس فى التصريف : بما تنـاول أنواعًا أخرى منه ، غير الاشتقـاق ، وضرب لذلك أمثلة كثيرة . . .

وكلها ترمى إلى تغيير فى جوهر الكلمة ، يعطى معانى ، جاء التغيير من أجلها ويعلق السيوطى على التصريف ، فيقول : « مَنْ فاته علمه فاته المعظَّم . . . »[1] .

ولعل السيوطى يريد بالتصريف : علم الصرف كله ، وهو العلم المقدَّم فى علوم اللسان العربى ؛ لأنه يعد الكلمة إعدادا سليمًا ، لتكون فى جملة ، ولتكون فى كلام ، وفى أساليب بليغة .

وقد كان يطلق التصريف على علم الصَّرْف ، لكثرة التحويل ، والدوران . . .

حتى جاء ابن مالك ، فأضاف اسما آخر ، فى قوله :

حَرْفُ ، ومشْبهُ من الصَّرْف بَرِى   وَمَا سِوَاهُمَا بتَصْريفِ حَرِى

وبذلك : صار للعلم اسمان : التصريف ، والصرف ، ولقلة حروف الصرف ، وموازنة النحو شاعت التسمية ، وصادفت قَبُولاً . . .

والتصريف الذى أطلقه العلامة ابن فارس يعنى جميع ما تقدم ، وإن كان لعلم اللغة منه نصيب كبير فى نمو اللغة بالاشتقاق . . .[2]

ويدخل فى ذلك :

الفعل البسيط ، الذى يدل على الحدث مثل « قَسَطَ ، . . » : « ظَلَم ، . . . » ﴿ وَأَمَّا القَاسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾[3] فإذا دخلت عليه همزة السلب ، والإزالة

---

(١) ١/١٩١ المزهر . . .

(٢) ص ٧٣ ألفية ابن مالك . . .

(٣) الآية ١٥ من سورة الجن .

تغير معنى الفعل إلى الضد » قال تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقسِطِينَ ﴾[1] ويقال للفعل : إنه مركب ...[2]

ومن النعع ، والخير أن نطلق التصريف على ما يتناول الحروف ، أو الحركات ، التى تعطى اتساعا فى اللغة ، وفى تنوع الدِّلالات .

ومن ذلك : تغيير حركة عين الفعل ، التى تخرج الفعل من اللزوم إلى التَّعَدى .

وبذلك : يعتبر مثل هذا النوع من أسباب تعدى الفعل اللازم ....

يقول الفيومى[3]، صاحب المصباح المنير ، فى المادة (سعد) :

« ... وبعدى بالحركة - فى لغة - فيقال :« سَعَدَه الله يَسْعَدَه » - بفتحتين - فهو مسعود ، وقرىء فى السبعة بهذه اللغة فى قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ ﴾[4]. . بالبناء للمفعول ... » .

والباحث الموغل فى اللغة العربية يجد فى ذلك العجب العجاب ...

٧ - **يقول ابن فارس** : « باب نظم للعرب ، لا يقوله غيرهم ، يقولون : « عاد فلان شيخًا » ولم يكن شيخًا قط ، و« عادَ الماءُ آجنًا » وهو لم يكن آجنا فيعود »[5].

ومن **الإعجاز** المعجز حقا : أن القرآن الكريم جبر خاطر العرب ، وجاءت بعض آياته على سنن لغتهم المستعملة ، حتى يحبب إليهم هذا الذكر الحكيم ، ويجعل قلوبهم تأنس به ، وتهش له إذ قد جرى على إلفهم ، وعادتهم فى لغتهم ، وما اختصت به ...

---

(١) من الآية ٤٢ من سورة المائدة .

(٢) ص ٢٣٥ كتابنا « تصريف الأفعال » .

(٣) الْفَيُّومىّ :

أحمد بن محمد الفيُّومى ... ، ثم الحموىّ .

ب - اشتغل ، ومهر ، وتميز فى العربية عند أبى حيان ، ثم قطن حماة ، وخطب بجامع الدهشة ، وكان فاضلا ، عارفا بالفقه ، واللغة .

صنف المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير ، توفى سنة نيف ، وسبعين ، وسبعمائة .. البغية ٣٨٩/١ .

(٤) من الآية ١٠٨ من سورة هود .

(٥) ١٩٢/١ المزهر ...

قال الله تعالى : ﴿ حَتَّى عَادَ كَالعُرجُونِ القَدِيم ﴾[1]ولم يكن عرجونا قبل . . .

وقال تعالى ، حكاية عن شعيب ﷺ : ﴿ قَدِ افتَرَينَا عَلَى الله كَذِبًا إن عُدنَا فِى مِلَّتِكُم ﴾[2]

وفى ذلك من الإعجاز ما فيه . . .

٨ - من الخصائص التى ذكرها ابن فارس : **الاستعارة :**

وعرفها فقال : « وهى أن يضعوا الكلمة للشىء مستعارة من موضع آخر »[3].

ومثل بأمثلة تتناول الأخيلة - بعامة - ولا تخص الاستعارة وحدها ، فذكر : « انشقت عَصَاهُم » : إِذَا تفرَّقُوا ، و « كشَفَتْ عن سَارِقَهَا الحرْبُ » ويقولون للبليد : هو حمَارٌ »[4].

ولعل ابن فارس يحلّق فى علم « البْيَان » وقد لا تكون المصطلحات الدقيقة لعلم البيان من تشبيه ، واستعارة تبنى عليه ، وكناية . . . وألوان المجاز الأخرى . . .

وهو بذلك : يفتح أعيننا على كل ألوان الخيال ، التى ظهرت معالمهما ، وتحددت مصطلحاتها - فيما بعد - . . .

ولا شك : أن ذلك من مفاخر لغة الذكر الحكيم : إذ بهذه الألوانم العظيمة نُلْبس المراد ثيابا قشيبته ، مختلفة الأشكال ، والألوان ، وصولا إلى عرض الحقيقة فى معارض معجبة ، مطربة ، رائعة فائقة . . . .

وهذا علم من علوم البلاغة يطرب القلوب ، ويعد العقول . . . .

٩ - مما ذكره ابن فارس : « **مخالفة ظاهر اللفظ معناه** ، كقولهم عند المدح « قَاتَله اللهُ مَا أشْعَرَه ! ، فهم يقولون هذا ، ولا يريدون وقوعه ، وكذلك قولهم : « هَوَته أمُّه ، وهَبلَتْه ، وثَكلُتْه » .

وهذا يكون عند التعجب من إصابة الرجل فى رميه ،و أو فى فعل يفعله »[5].

---

(١) من الآية ٣٩ من سورة يس .

(٢) من الآية ٨٩ من سورة الأعراف .

(٣) ١/١٩٢ المزهر . . .

(٤) ١/١٩٢ المزهر . . .

(٥) ١/١٩٢ المزهر . . .

ونوضح ما تقدم فضل توضيح فنقول :

قد يلقى شاعرٌ قصيدة مثلا ، تأخذ بمجامع القلوب ، وتأسر الألباب ، وهنا يكون المقام مقام إعجاب من إجادة الشاعر ، وإصابته الهدفَ . . .

وهنا ينتظر من السامع أن يلهج بالمدح العاطر ، والثناء البارع ، فيأتى الكلام مخالفا لما ينتظره السامع : « قَاتَلَهُ اللهُ . . . » دعاء بالقتل فى الظاهر ، لا يساعد المقام على فهمه ، ويأتى أسلوب التعجب مخالفاالمقام على فهمه ، ويأتى أسلوب التعجب مخالفا لظاهر ما تقدم . .

وهنا : لابد للسامع من التعقل ، والتدبر ، فيحمل الجملةُ الدعائية على غير ظاهرها من الدعاء على المجُيد ، حتى يتلاءم الموقف مع الإعجاب به : . .

وهذا النوع من الأسلوب يدعو إلى تفكر ، وتدبر فيما يناسب المقام ، حتى يأتى التعبير ملائما ، لإعجاب المتكلم ، ومزيد انفعاله بالشاعر المعجِب . . . . .

١٠ - مما ذكره ابن فارس من سَنَن العرب « الحذف ، والاختصار » ، وكذلك الزيادة .

يقولون : « واللهِ أفْعَلُ ذَاكَ » تريد العرب : « لاَ أفْعَل »[1].

وهذا الأسلوب يُعينُ المقام على فهمه :

وقد جرت العرب على ذلك ، فمن ذلك قول امرىء القيسْ :

فَقُلْتُ يمِينُ اللهِ أَبْرَحُ قَاعدًا وَلَوْ قطَّعُوا رَأْسِى لديْك ، وأَوْصَالِى

والبيت من لامية امرىء القيس . . .

تقول له من دخل عليهـا فى أول الليل : إنكَّ فاضحى ، فالسُّمَّـار حـول بيتى ، . . .

فيقول لها : « . . . أَبْرَحُ قَاعدًا . . . » يريد : لاَ أَبْرَحُ قَاعدًا ، ولو أصابنى من ذلك تقطيع الرأس ، والأوصال ، ولا أبالى بشىء من ذلك ، . . .

فقد **حذف** « **لاَ** » النافية ، ولكنه أرادها فى المعنى ؛ لأن الحال ، والمقام يتطلبها . . .

وامرؤ القيس الذى حذف « لاَ » النافية ، وأرادَها ثابتةً فى المعنى زَادَهـا فى قوله :

---

(١) ١٩٢/١ المزهر . . .

لاَ ، وأَبيك ابنةَ العَامِرىّ   لا يدَّعِى الْقَوْمُ أنِّى أفِرّ

ويقول جار الله الزمخشرى : « إدْخَال « لاَ » النافية فى فعل القسم مستفيض فى كلامهم ، وأشعارهم ... » ويَسُوق مستشهدًا ببيت امرىء القيس المتقدم ... ويقول : « وفائدتها توكيد القسم ... »[1].

وجرى الذكر الحكيم على سننهم حتى يأتوا به ، وتتفتح له قلوبهم ، فقد جاء « فى الإمام » قول الله تعالى : « لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَة » « لأُقْسِم ... » بغير ألف .

ودل ذلك على أنها قد تزاد لمعنى بلاغى ، كما قرىء « لأُقْسِم ... » على أن اللام لام الابتداء ، وأقسم خبر مبتدأ محذوف ، معناه : لأَنَا أقْسِم ... »[2].

والمراد من كل ما تقدم :

- أن العرب تحذف للاختصار ، وهى تريد المحذوف ثابتا فى المعنى .
- وتزيد لمعنى بلاغى رفيع ، وهى لا تريد النفى ...

وذلك : ثابت ، وموجود فى « لاَ » النافية : محذوفة ، مرادة ، ومزيدة غير مرادة ....

وكل ما تقدم ، وما يشبهه يحرك ذهن السامع ، ويقدح بصيرته ، ويصفى قريحته وصولا إلى المراد من الالتقاء التخاطبى ، ومن الفهم للأساليب الرفيعة ...

وذكر ابن فارس للزيادة أمثلة **نصطفى منها** ما يلى :

ا - قال **الله** تعالى : ﴿ وَيَبْقَى وَجهُ رَبِّكَ ﴾[3] أى: يبقَى ربُّكَ (جل،وعز) .

وقال تعالى : ﴿ لَيسَ كَمِثلِهِ شَىءٌ ﴾[4].

فجاء النفى على المثل تأدبًا ؛ لأن معنى ذلك : أنّه الواحد ، الأَحَد ، الذى لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفُوًا أَحَدٌ ...

والعرب عند المدح ، والتعظيم ، ... تعظم المخــاطب ، وتوقـع النفى على « المثل » الذى يستلزم النفى عن المعظم .

تقول العرب : « مِثْلُكَ لاَ يَبْخَلُ » أى : أَنْتَ لا تَبْخَل أى : إنك كريم . كما

---

(1) ٤/٦٥٨ الكشاف .

(2) ٤/٦٥٩ الكشاف .

(3) من الآية ٢٧ من سورة الرحمن .

(4) من الآية ١١ من سورة الشورى .

يوقعون ذلك **على الغير** ، فيقولون : « غَيْرُكَ لاَ يَجُودُ » أى : أنت تجود ، أى : إنك جواد · · · ·

وهذا ضرب من التعظيم دقيق المسلك ، رفيع القدر ·

وما تقدم فى الزيادة فى الآيتين : من قبيل **زيادة الأسماء** ·

والزيادة هنا - باعتبار - آخر - ·

ولكنها فى البلاغة أصيلة تطلَّبهـا الحـال ، وإخْرَاج الكلام على مُقْتَضَى الحـال · · ·

ب - **تقول العرب** : « رَعْشن » : للذى يرتعش ، و « شدْقم » : للواسع الشِّدق ، وطِرِمَّاح : للمفرط الطول · · · ·

ومن وراء ذلك : المبالغة ، أو التقبيح ، · · ·

وذلك من قبيل الزيادة **فى حروف الاسم** · · ·

كما يزيدون **فى حروف الفعل** للمبالغة :

يقولون : فى « حَلاَ الشَّىْءُ » إذا تَنَاهت حلاوته فى الزِّيادة : « احْلَولَى » ·

وكأنهم بهذه الزيادة يهدفون إلى الاختصار : فزيادة الحرف ، تغنى عن الوصف ، الذى يوضح الزيادة المتناهية فى الحلاوة · · · ·[1]

وهذا إن دل : فإنما يدل على التمكن الزائد فى اللغة : فهم يطلبون مرادهم بشتى الطرائق المعجبة ، وابتكار وسائل ، تصل بهم إلى المطلوب · · ·

١١ - يقول ابن فارس : ومن سَنَن العرب :

ا - ذكر الواحد ، والمراد الجمع :

تقول العرب للجماعة : « ضيفًا » ·

وجاء القرآن الكريم على سنن لغتهم - لما تقدم :

قال الله تعالى : ﴿ وَنَبِّئْهُم عَن ضَيْفِ إبْرَاهِيمَ ﴾[2] وهم جمع من الملائكة الكرام (عليهم الصلاة والسلام) فجاء التعبير عنهم بكلمة « ضَيْف » المفردة ، والمراد الجمع · · · ·

---

(١) انظر ١/١٩٣ المزهر · · ·

(٢) من الآية ٥١ من سورة الحجر ·

ويقول جار الله فى كلمة « ضَيْف » فى سورة الذاريات : ﴿ هَل أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾[1]:

« **والضيف** : للواحد ، والجماعة ، كالزَّوم ، والصوم ؛ لأنه فى الأصل مصدر « ضَافَه » وكانوا اثنى عشر ملكا . . .[2]

ويقول جار الله : « وجعلهم ضَيْفًا ؛ لأنهم كانوا فى صورة الضيف ، حيث أضافهم إبراهيم ، أو لأنهم كانوا فى حسبانه كذلك[3].

وهذا لون من ألوان التصرف فى اللغة عجيب .

ب - تذكر العرب الجمع ، والمراد واحد ، أو اثنان :

قال الله تعــالى : ﴿ إِن نَعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُم نُعَذِّب طَآئِفَةً ﴾[4] والمراد : واحد .

ويقول الزمخشرى - بعد أن ذكر أقوالا ، وقراءات . . . :

« . . . وقرىء إن يَعْفُ عَنْ طَائفة بعذّبْ طَائفةٌ » على البناء للفاعل ، وهو : الله (عز وجل)[5]» .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّالَّذِينَ يُنَادُونَكَ من وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أَكثَرُهُم لاَ يعقِلُونَ ﴾[6] . والمنادى : واحد .

ويقول جار الله فى ذلك :

« . . والفعل ، وإن كان مسندًا إلى جميعهم فإنه يجوز أن يتولاه بعضهم ، وكان الباقون راضين ، فكأنهم تولوه جميعا . . . وذكر ى أن الذى ناداه عيينة بنَ حصن ، والأقرع بن حابس »[7].

- وجاء قوله تعالى : ﴿ فَنَادَواْ صَاحِبَهُم فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴾[8].

---

(١) من الآية ٢٤ من سورة الذاريات .

(٢) ١/ ٤٠١ . الكشاف .

(٣) ١/ ٤٠١ الكشاف .

(٤) من الآية ٦٦ من سورة التوبة .

(٥) ٢/ ٢٨٧ الكشاف .

(٦) من الآية ٤ من سورة الحجرات .

(٧) ٤/ ٣٥٧ الكشاف .

(٨) من الآية ٢٩ من سورة القمر . . .

والمراد : نادى أثرار ثمود صاحبهم قُدُرا بن سالف أُحَيْمر ثَمُود ، فتعاطى سيفه ، وعقر الناقة[1] .

والمراد : بذلك واحد اجترأ على تعاطى الأمر العظيم ...

وفى سورة « الشمس » : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾[2] .

وقبل ذلك : ﴿ إِذِ انبَعَثَ أَشقَاهَا ﴾[3] والمراد : قُدارُ بن سالف ، وهو واحد ونسب الفعل إلى الجماعة : « فَقُدَار » بمباشرة العقر ، والباقون : بالتحريض عليه ، والرضا به ...

وينبغى أن نفهم الأحكام فى ضوء ذلك ، وأن نعظم آيات الله تعالى ، وأن نفكر فى مراميها ، ومقاصدها ، فالقرآن كتاب الحياة ، والأحياء ...

والإعجاز فى مثل ذلك : أن الرضا بالجرم يجعل من أجرم شريكا لمن باشر الجرم ...

والفقهاء : يقولون : تقتل الجماعة بالواحد : إذا اجترأ أحدهم عليه ، وهم مدبرون معه ، راضون عن فعله ، ....

وجاء قول الله تعالى فى خطاب أُمّى المؤمنين : عائشة ، وحفصة ﷺ ﴿ فَقَد صَغَت قُلُوبُكُمَا ﴾[4] وهما قلبان ....

والتنصيص على على الاثنتين فى قوله تعالى : ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَد صَغَت قُلُوبُكُمَا ﴾[5] وكذلك : ﴿ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيه ﴾[6] .

والتثنية : تشير إلى : عائشة ، وحفصة[7] .....

وجمع القلوب : لعل فيه الإشارة إلى تعظيم الأمر بالنسبة للرسول العظيم ، الذى يوقر ، ويعظم ، أو أن قلوبا أخرى تجترئ على آخرين ، ويكون ذلك من قبيل السنة السيئة ، فجمعت القلوب لضخامة الأمر ، ولما قد يمكن أن يترتب عليه ...

فأم المؤمنين قدوة ، وأُسْوَة .

---

(١) ٤/٤٣٨ الكشاف .

(٢) من الآية ١٤ من سورة الشمس .

(٣) من الآية ١٢ من سورة الشمس .

(٤،٥،٦) من الآية ٤ من سورة التحريم .

(٧) انظر ٤/٥٦٦ الكشاف .

جـ - ومن سَنَن العرب التى أشار إليها الإمام ابن فارس : **مخاطبة الواحد بلفظ الجمع** ، فيقال للرجل العظيم : « انْظُروا في أمْرى » .

يقال هذا ؛ لأن الرجل العظيم يقول : نَحْنُ فَعَلْنَا كَذَا » : فعلى هذا الابتداء خوطبوا فى الجواب . . .[1]

ومن ذلك : وعلى هذا النهج جاء قول الله تعالى : ﴿ رَبِّ ارجعُونِ ﴾[2].

ويقول الزمخشرى : « خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم »[3] .

وذكر الزمخشرى مستشهدا لما تقدم بقول الشاعر :

فإن شئتُ حرمت النِّساءَ سواكُمُ { وإن شئت لم أطعم نقاخًا ، ولا بُرْدًا }

وقول الشاعر :

أَلاَ فارحمُونى يا إِلَهَ محمَّد[4] { فإن لم أكن أهلا ، فأنت له أهل }

وقبل أن ننتقل إلى ملاحظة أخرى أحبُّ أن أسجلَ ما يلى :

أولا : القرآن الكريم - وهو كلام الله القديم - جرى على سَنَن العرب فى مألوفهم ، وطرائق أساليبهم . . .

واللغة العربية : إلهام من الله تعالى ، الذى يهدى إلى الطيب من القول ، وقد هَدَى اللاهجين باللغة العربية إلى أساليب ، وطرائق يعلم أزلاً أن القرآن الكريم ، يثبتها ، ويسير على منهاجها . . . .

وذلك : للإعجاز ، وتأليف القلوب ، وجمعها عليه ، وقطع الطريق على المعاندين ، حتى لا يقولوا : إنه جاءنا بما لا إلف لنا به ، ولا عهد ، . . .

ثانيا : القرآن الكريم شاهد حق ، وصدق على اللغة ، فهو يشهد لها ، ويمنحها النماء ، والازدهار ، ويحفظها من أدواء اللغات الأخرى .

ثالثا : فى أساليب اللغة المنوعة ، والتى جرى الذكر الحكيم على سننها قطع لألسنة من يَهْرِفون بما لا يَعْرِفُون ، ويغمزون على القرآن الكريم - حَاشَاه - وتعالى منزله عن خوضهم فى باطلهم علوًا ، كبيرًا . . .

ولو أنهم درسوا اللغة دراسة ، واعية ، متأنية ، اللغة ، الصرف ، النحو ،

---

(١) ١/١٩٣ ، ١٩٤ المزهر .

(٢) من الآية ٩٩ من سورة المؤمنون .

(٣) ٣/٢٠٢ الكشاف .

(٤) ٣/٢٠٢ الكشاف .

علوم البلاغة ، آداب اللغة ، وطرائق البلغاء ، وعلموا أن القول ينفذ مالا تنفذ الإبر . . . وانفتحت بصائرهم . . . لما ارتكبوا أخطاءهم الشائنة ، ولسجدوا لبلاغته ، كما فعل غيرهم ، ولقالوا ما قاله الأصدقاء فيه ، وما أنطق الله به الأعداء من التغني بمحاسنه ، وسمو بلاغته . . .

رابعًا :

فى درسة هذه الأساليب ، والوقوف على أنها على سنَنَن العرب ، وطرائقهم ما يزيد المؤمنين إيمانا بوحى الله (عز وجل) وتنزيله ، وما يجعلهم يدحضون فِرْية المُفْتَرى ، وضلال الضال ، ويقولون عند كل معجزة « سبحان الله » !

١٢ - يقول العلامة ابن فارس :

« ومن سنَنَ العرب : أن تخاطب الشاهد ، ثم تحول الخطاب إلى الغائب ، أو تخاطب الغائب ، ثم تحوله إلى الشاهد . . . » وهو الالتفات »[1].

ويذكر ابن الأثير الجزَرَىّ الالتفات ، فيقول :

« **وحقيقته** : مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه ، وشماله ، فهو يقبل بوجهه تارة كذا ، وتارة كذا .

وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة ؛ لأنه ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة كالانتقالات من خطاب حاجز إلى غائب ، أو من خطاب غائب إلى حاضر . . . » .

ويسمى - أيضا شجاعة العربية . . . . .

وقسم ابن الأثير الألتفات إلى أقسام ، وذكر كلام الزمخشرى فيه . . . وضرب أمثلة ، . . **نأخذها منها** .

ا - **الرجوع من الغيبة إلى الخطاب** ، كقوله تعالى فى سورة الفاتحة : ﴿ الحَمدُ للَّه رَبِّ العَالَمينَ الرَّحمَان الرَّحيم مَالك يَوم الدِّين إيَّاكَ نَعبُدُ وَإيَّاكَ نَستَعينُ . . . . ﴾ إلىَ ﴿ أَنعَمتَ عَلَيهم ﴾[2].

هذا رجوع من الغيبة إلى الخطاب . . . .

وإنما عدل فيه من الغيبة إلى الخطاب ؛ لأن الحمد دون العبادة ، ألا تراك تحمد

(١) ١/١٩٤ المزهر .

(٢) من الآيات ١ إلى ٧ من سورة الفاتحة .

نظيرك ، ولا تعبده ، فلما كانت الحال كذلك استعمل لفظ الحمد ، لتوسطه مع الغيبة في الخبر ، فقال : الحمدُ لَكَ ، ولما صار إلى العبادة ، وهى أقصى الطـاعـات قال ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ فخاطب بالعبادة إصْرَاحًا بها ، وتقربا منه (عز اسمه) بالأنتهاء إلى محدود منها ... وعلى نحو منها جاء آخر السورة .. أَنْعَمْتُ عَلَيْهِم ... »[1] .

ب - وقال تعـالى : ﴿ وَقَـالُواْ اتَّخَذَ الرَّحمَانُ وَلَدًا لَّقَد جِئتُم شَيئًا إِدًّا ﴾[2] .

« وإنما قيل : « لقد جئتم ، وهو خطاب للحاضر ، بعد قوله : « وقَالُوا » وهو خطاب للغائب ؛ لفـائدة حسنة ، وهى : زيادة التسجيل عليهم بالجراءة على الله تعالى ، والتَّعَرض لخطه ، وتنبيه لهم على عظم ما قالوه ، كأنه يخاطب قومًا حاضرين بين يديه ، منكرا عليهم ، ومُوَبِّخًا لهم »[3] .

وأتى بكثير من الأمثلة ، مع ذكر النكات ، واللطائف البلاغية[4] . . .

وهذا باب من البلاغة لا تنتهى لطائفة ، ولا تنفد نكاته . . . .

١٣ - وذكر ابن **فارس من سنن** العرب أن تنسب الفعل إلى اثنين ، وهو لأحدهما .

قال الله تعالى : ﴿ مَرَجَ الْبَحرَينَ يَلتَقيَانِ بَينَهُمَا بَرزَخٌ لاَّ يَبغيَانِ .... إلى قوله تعالى : ﴿ يَخرُجُ مِنهُمَا اللُّؤلُؤُ وَالمَرجَانُ ﴾[5] .

وإنما يخرجان من الملح ، لا العذب ...

وإلى الجماعة ، وهو لأحدهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذ قَتَلتُم نَفسًا فَادَّارءتُم فِيهَا ﴾[6] .

والقاتل واحد ...

وهذا : مما يحرك الذهن إلى البحث فى العلم ، وتلمس القرائن ، ومسار الأحداث ....

---

(١) ص ١٦٨ ، ١٦٩ المثل الساير - بتدبر ...

(٢) الآيتان ٨٧ ، ٨٨ من سورة مريم .

(٣) ص ١٦٩ المثل الساير .

(٤) انظر ص ١٦٩ إلى ١٧٣ المثل الساير .

(٥) الآيات ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ من سورة الرحمن .

(٦) من الآية ٧١ من سورة البقرة .

١٤ - ومن سنن العرب فى اللغة : أن تأتى بالمفعول بلفظ الفاعل : أى : اسم المفعول بلفظ اسم الفاعل .

ولنأخذ مما ذكره « عيشَة رَاضيَة » أى : مرضى بها ، أو عنها . . .

قال الله تعالى : ﴿ فَهْوَ فى عيشَة رَاضيَة ﴾[1].

ويقول جار الله الزمخشرى « راضيَة » : منسوبة إلى الرضا :

يريد جار الله : أنهـا ذات رضا ، وذلك من قبيل نقل « فَاعِل » إلى إفادة النسب . . . « أو جعل الفعل لها مجازًا ، وهو لصاحبها »[2].

ويريد جـار الله أن يقـول : إن معنى « رَاضية » ذَات رِضًا ، من قبيل النسب « بفَاعِل »[3].

والأحتمال الثانى عنده أن تكون كلمة « رَاضيَة » من قبيل المجاز العقلى : وهو يعود إلى الإسناد .

ويعرف الخطيب القزوينى المجاز العقلى فى إيضاحة ، فيقول :

وأما المجاز : فهو إسناد الفعل ، أو معناه إلى ملابس له بتأول . . .

« وللفعل ملابسات شتى . . . » ويقول : « كقولهم فى المفعول به : عيشةٌ رَاضيَةٌ ، ومَاءٌ دَافق ، وفى عكسه : سَيْل مُفْعم ، وفى المصدر : شِعْر شَاعر ، وفى الزمان : نَهارُه صَائم ، ولَيْلُه قَائم . . . »[4].

ويكون اسم الفاعل « رَاضية » - على هذا من قبيل المجاز العقلى فقد أسند الرِّضا إلى « عيشة » وهو فى الحقيقة إلى صاحبها . على سبيل المجاز العقلى . . . .

كما ذكر - بعد ذلك - أن العرب تصف الشىء بما يقع فيه : تقول « يَوْم عَاصِفٌ ، وليلٌ نائمٌ ، ونَهارٌ سَاهِرٌ » .

وهذا - أيضا من قبيل المجاز العقلى ، وقد ذكرا ابن فارس الملابسة : « بما يقع فيه » **ومحاولته فى ذلك** : علَّهـا قد أرست السفينة على بر المجـاز العقلى لمن أتى بعده .

١٥ - يقول ابن فارس : من سَنَها : التوهم ، والإبهام .

---

(١) من الآية ٧ من سورة الحاقة .

(٢) ٤/٦٠٢ الكشاف .

(٣) انظر كتابنا « النسب » فى النسب بغير ياء والنسب .

(٤) ١/١٠٧ إلى ١١٤ الإيضاح شرح ، وتعليق د.عبد المنعم خفاجى .

ويقول عن التفسير : أن يتوهم أحدهما شيئا ، ثم يجعل ذلك كالحق[1] . . . . .

والناظر فى شعر العرب : يرى أنهم وقفوا بالديار سائلين ، ووقفوا على الرِّباع باكين ، وعلى الرسوم متأثرين : يذكرون الأيام الخوالى ، وتتوافد لديهم الذكريات الطيبة ، والأنس بالأحباب ، والأصحاب . . .

وهذا اللون تراه منبثا فى قصائدهم ، وأشعارهم ، ومرسومًا ، محفورا فى حنايا ضلوعهم . . .

وهم بذلك : إنما يحتفلون بذكرياتهم ، ولا ينْسَون إلفهم ، واللغـة طيِّعة سهلـة تمـدهم بأعـذب الأسـاليب ، واسمى العبـارات وتتوافـد عليهم ، أخصب الأخيلـة . . . . .

وتلك منيرة جليلة لأصحاب اللغة الذين يصلون الماضى بالحاضر ، وللُّغة التى اتسعت ، واستجابت لكل ذلك . . .

ولم تخل عصورهم من هذه الألوان ، وبخاصة عصور الفطرة النقية ، والسليقة المستقيمة . . . .

حتى عيب عليهم ذلك ، ممَّن يتَّسمون ، بالشُّعُوبيَّة ، أو يميلون إليها . . . .

وقد جاء على لسان حاقد من هؤلاء :

يَا رَبْعُ شُغْلك إنّى عنْكَ فى شُغْل   لأنَا قَتِى فيَك - لَوْ تَدْرى - وَلاَ جَمَلى

وقد وعى شعراء المهاجر أساليب القدامى ، وألبسوها ثيابا قشيبة ، وخاطبوا البحار ، والأنهار ، والأشجار ، وغير ذلك ، وقدروا لها أذنا تسمع ، وقلبا يَعى ، ولسانًا يُجيب .

وجاءت قصائدهم فى ذلك ، وفيها العجب العاجب .

وهذا إن دلَّ فإنما يدل على سموّ الخيال ، واستجابة اللغة . . . .

١٦ - فرقت العرب بين ضدين بحركة ، أو حرف :

ونذكر بعض أمثلة للتفريق بين ضدين بحركة :

تقول العرب : « فُلاَنٌ صُرَعَة » أى : قوىّ يصرع من يصارعه ، ويلقيه على الأرض .

---

(١) ١/١٩٥ المزهر . . .

وجـاء الحـديث الشريف « لَيْسَ الشَّدِيدُ بالصُّرَعَة »[1] أى : الـذى يصرع قرنـه . . .

فإذا غيرت الحركة ، وقلت مثلا « فُلاَن صَرْعَة » كان المعنى : أن الناس تصرعه كثيرًا ، لضعفه ، وفتور قوته . . .

وفى القرآن العظيم : ﴿ وَيلٌ لِكُلِّ هُمَزَة لُمَزَة ﴾[2] أى : هلاك لمن يعيب الناس بقول أو بإشارة ، ويكثر من ذلك ، ويطعهم فى أعراضهم ، ويغض منهم . . . .

وذلك يدل : على الدقة البالغة فى الضبط ، الذى يتوقف عليه إفادة المعنى والتفرقة بين الضدين . . .

ويقول جار الله : « وبناء « فُعَلَة » يدل على أن ذلك عادة منه . . . »[3].

١٧ - ويشير ابن فارس إلى الكناية ، معبرا عن مضمونها بأن العرب تشير إلى المعنى ، إشارة ، وتومى إيماء ، دون التصريح .

تقول العرب : « طَوِيل النجاد » : يريدون : « طول الرجل »[4].

ويجيء الخطيب القزوينى بعد ذلك ، فيعرف الكناية بقوله :

« . . لفظ أريد به لازم معناه ، مع جواز إرادة معناه حينئذ »[5]. ويريد القزوينى « بطول النجاد » : حمائل السيف : بأن المراد منه : طول القامة . . . .

والكفاية باب واسع من أبواب علم « البيان » .

وبذلك : يكون ابن فارس قد وضع الضُّوء على الطريق لمن جاء بعده ، ونال بذلك شرف السبق . . .

ما تقدم ملحوظات : لحظت على ما ذكره العلامة ابن فارس ، ونقله عنه الإمام السيوطى .

وقد ذكرنا ما تقدم من قبيل الملحوظات على بعض ما أورد العالم الجليل : ابن فارس ، وسجله له السيوطى ، وتركنا بعض ملحوظات : اكتفاء بما ذكرنا ، وبعدًا عن التطويل ، أو لأن بعض الخصائص لها أشباه ، ونظائر فيما ذكرنا . . . .

---

(١) ٤/ ١٧٩ صفوة صحيح البخارى .
(٢) الآية الأولى من سورة الهمزة .
(٣) ٤/ ٧٩٥ الكشاف .
(٤) ١/ ١٩٦ المزهر .
(٥) ٥/ ١٨٨ الإيضاح بشرح د. خفاجى .

والقصد فى جميع ما تقدم :

١ - أن الله تعالى علم أزلا أن اللغة العربية هى لغة أكرم رسله ، وأشرف كتبه ، فصنعها على عينه ، وألهم اللاهجين بها الدقة فى النطق بها ، ومنحهم دُرْبَة اللسان ، ودَرَابة النطق ، ووضعهم فى بيئة تيسر لهم ذلك ، وهيأ لهم من أسباب التباعد فى أول الأمر ، والتقارب ، والالتقاء بعد ذلك مما صفَّى اللغة ، وألبسها ثيابا من الجلال ، والخفة ، والعذوبة ، والجمال ....

ولم يجعلهم فى عزلة عن الأمم الأخرى ، فأعطوها ، وأخذوا منها ، مع صقل ما أخذوا ، وتطويعه للسانهم الذلق ، وما اعتاد عليه سمعهم من عذوبة النغم ، والجرس ....

٢ - **اللغة العربية** : لا يجيدها نطقًا إلا من حفظ الكتاب المنزل بها ، ليعتاد النطق السليم ، والسر المحكم وفق دروبه فى البلاغة ، ومسالكه فى الفصاحة ، وكلماته المنتقاة .

ولا يجيد فهم خصائصها إلا من درس علوم اللغة : من نحو ، وصرف ، ولغة ، وأدب ، وبلاغة ، وعروض ... وغير ذلك ، وصبر وصَابر ، وعاش معها عيشة الملازم ، المرافق ، وفتح عقله ، وقلبه لمسالكها ، ودروبها فى الأداء ، والتعبير ....

ولا يستطيع الحكم عليها إلا من نبغ فيما تقدم ، وتبحر فى الخصائص ، ووقف على الأشباه ، والنظائر .....

والقرآن الكريم شاهد صدق لها ، وجرى على سَنَنِها ، وعلى إلف العرب فى فنون القول ، وهو فى الذورة ، والسنام من الفصاحة ،والبلاغة ، وفى دقة المرمى ، وإصابة الهدف ، وسلامة الغاية ، وعدالة الحكم ، وسلامة المنهج ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[1] ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[2].

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا :

هل يستطيع مستشرق ، تخصص فى بلده الأصلى فى فرع من فروع العلم الدنيوى : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[3] ورغب فى دراسة الديانات ، أو

(١) من الآية ٤٢ من سورة فصلت .

(٢) من الآية ٨٢ من سورة النساء .

(٣) من الآية ٧ من سورة الروم .

اللغة العربية ، أو غير ذلك ؛ لحاجة فى نفس يعقوب وقد أنفق الوقت الطويل ، والجهد المضنى فى الحصول على درجته العلمية ، التى طمع بعدها فى دراسة اللغة العربية ، أو غيرها . . .

مع ما يحمله من حقد أسود على العرب كأمة لها تاريخها العريق ، وحضارتها التى أثرت فى حضارة الكون كله ، وكأمة قادَت ، وسادَت ، وعلَّمت ، ونشرت الخير ، والحق ، والعدل بما أمدَّها الله تعالى من كتاب محكم ، لا يأْتيه الباطلُ من بين يديه ، ولا من خلفه ، ومن رسول ، خاتم الأنبياء ، والمرسلين ، ما ينطق عن الهوى ، وسنته وحى يُوحَى . . . .

هل يستطيع ذلك المستشرق أن يحيط علما باللغة ، ودقائقها ، وهو فى خريف العمر ، وهو يتميز غيظا على العرب ، والإسلام ، والمسلمين . . . ؟

والجواب عن هذا : لا ، لأنه لم يملك الصفاء ، والقدرة ، والوقت الكافى ، واللسان الذى تربى على موائد اللغة العربية . . .

وإنه بذلك : ولما فى قلبه قد يطلع على الخاصية الفائقة ، والحسنة الطيبة ، فيلهج لسانه عائبا بالباطل ، وغامزًا ، مدللا على جهله . . .

ولو رجع إل« أساليب العربية ، وسَنَنها ، وخصائص اللغة ، ومزاياها لصار مادحًا ، مُطريًا ، متغنيا بالمحاسن ، فرحاً للوقوف عليها ، مستريحا لنظافة قلبله من الحقد الأسود ، والبغض البغيض . . .

وفى هذا المقام نقول : إنَّ ظلَم ذَوِى القُرْبَى ، ممَّن يقلِّدُونَه تقليدًا أَعْمَى ، ويرددون صوته ترديد ببغاوات من بنى جلدتنا أشد مضَاضَة (هدى الله الجميع) .

وفى هذا المقام يجمل قول القائل : ومن يكُ ذافم ، مُرّيه ، مريض : يَجدْ مرَّابه الماء الزُّلاَلاَ .

وقول آخر :

وكُمْ عائبٍ قولاً صَميمًا   وآفَتُهُ من الفهْمِ السُّقِيمِ

وقول آخر :

وما ضرَّ الوُرودَ ، وما عَلَيَها   إذا المزكُومُ لم ينْسَم شَذَاهَا

ونقول لمن يقلده : ولهما معًا . . . ولكل عائب . . .

كنَا طحِ صخرةً يومًا ، ليوُهنَهاَا : فَلَم يضرْهَا ، وأَوْهَى قَونَهُ الْوَعِلُ .

* * *

التَّعريبُ

وهو المقصود الأهم لنا ، وصولاً به إلى المعرَّب فى القرآن الكريم :

فنقول :

التَّعَريب :

يعرفه علماء اللغة : بأنه نطق العرب باللفظ الأعجمى ، الموضوع لمعنى فى غير لغة العرب ، على منهاج نطق العرب بالكلمات العربية ، من أجل الدلالة على ذلك المعنى[1] .

ويقال : إن أمة العرب : عرَّبته ، وأَعْرَبته ·

والتعريب من الظواهر الطبيعية فى اللغات ، والاجتماع البشرى :

أما بالنسبة لأمة العرب : فإنها كانت أمة قليلة موارد الرزق ، وكانت تعتمد على تجود به السماء ، فتهتز به الأرض ، وتربو ، وتنبت الكلأ ، والمرعى ، الذى تعيش عليه أنعامهم ، ومن أصوافها ، وأوْبارها ، وأشعارها أثَاثًا ، ومتاعًا لهم ·

ومن لحومها ، وألبانها ، طعَامًا وشرابا ، وعلى صحاريها المترامية الأطراف مسارح لهو ، ومغَانى إقامة ، وانتقال ، ونجعة ، وأماكن فروسية ، وصيد ، · ·

وأمة كهذه الأمة تحتاج إلى الأمم المجاورة فى كل شىء تقتضيه الحياة ، وتتطلبه الزينة ، ويحتاج إليه الأثاث ، والرياش · · ·

ومن عظمة الله (عز وجل) توزيع الهبات ، والعطايا ، والأرزاق على أهل الأرض ، فمـا تجـود به أرض قد تشح به أخرى ، ومـا يكثر فى بلد قد يقل فى آخر ، · · ·

حتى تتعاون الشعوب ، وتحقّق قول الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاكُم شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ ﴾[2] والتعارف مَدْعَاة للتعاون ، وتبادل المنافع ، وتداول المصنوعات ، والحاصلات ، · · · وغير ذلك · · ·

وقد كان لابد لأمة العرب من تبادل المنافع ، والمصنوعات ، وبخاصة أنها كانت تنفر من الصناعات ، وتزدريها · · ·

كان لابد لها من تبادل المنافع مع الفرس ، والروم ؛ لسيطرة الفرس على

---

(١) انظر ١/١٥٩ المزهر ·

(٢) من الآية ١٣ من سورة الحجرات ·

العراق ، والروم على بعض الشام ، وإقامة دولتى الغساسنة ، والمناذرة ، وكانت تستورد ما تجود به هذه البلاد ، وكانت وثيقة الاتصال بالحبشة ومصر ، والهند ... وغيرها ....

فقد كانت تعتمد على جلب البضائع من بلاد فارس ، والروم ، والحبشة ، ومصر ، والهند ، وغيرها .

نظرا لقلة زُرُوعها ، وفقرها فى الصناعة ، واعتمادها على تلك الشعوب لكل ما ملزم لمعيشة الترف ، والتعميم .

ومن ذلك : كان أغلب ما يجلب إلى البلاد العربية من التجارة ، هو : أثاث البيوت ، وآنيتها ، والملابس ، والعقاقير ، وأصناف العطر ، والتوابل ... وغير ذلك : مما تتطلبه الحياة ...

وهذه الأشياء الواردة إلى الأمة العربية لم تكن لها أسماء عربية ، يمكن أن تعرف بها ...

لهذا : اضطرت الأمة العربيّة أن تأخذ الواردات بأسمائها الموضوعة لها فى لغات أممها ....

لكن هذا الأخذ إنما تم بعد الصقل ، والتهذيب ، والتشذيب ، وأن تضع عليها بصماتها ، ثم تدمجها فى لغتها العربية ، وتستعملها استعمال كلماتها الأصيلة .

وبهذا تكون أمة العرب قد امتلكت كلماتها الموضوعية لمعانيها فى لغتها ، كما امتلكت الكلمات التى وردت إليها من أمم أخرى بعد الصقل ، والتهذيب ، والإخضاع للسانها ، وذوقها ....

وقد كان التعريب وسيلة من الوسائل التى نمت بها اللغة العربية ، وكثرت به مفرداتها ....

ومن ذلك : قد استطاعت أمة العرب ، وصارت قادرة على التعبير عن كل الأغراض ، التى ترمى إليها فى حياتها ، وتحتاج إليها فى شتى شئونها ...

ويستوى فى التعبير الأداء باللغة الأصيلة ، وبما وفد على اللغة بسبب التعريب ، الذى اقتضته ضرورات الحياة ، والوجود ، والتحضّر ...

وقد كان لدخول اليهودية فى بلاد العرب : فى اليمن ، وما حول يثرب ، وخيبر وتبوك ... وغير ذلك .

وكذلك النَّصرانية التى انتشرت فى شمال الشام ، وتغلب ... وغير ذلك من

التأثير فى لغة العرب بالتعريب ، وذلك : فى التعاليم ، والآداب ، وغير ذلك ، مما أضفى على اللغة العربية اتساعا ، ونمَّى ألفاظها نماء ...

ومن أجل ذلك كله :

كان التعريب رافدًا عظيما أمدَّ اللغة العربية بالشىء الكثير ....

والتعريب لم يكن قاصرا على الحاجة الماسة إليه ، تلبية لجلب البضائع ، والمنافع ، ...

وإنما قربت إلى اللغة ألفاظ أعجمية بسبب السفارة ، أو الوفادة ، أو الانتجاع ، وعرفت فى اللغة العربية ... وكانت تستعمل استعمال ألفاظ اللغة العربية ....

وذلك فى مثل الآتى :

ا - تلطف الرسول الأمين ، مع صاحبه الكريم : أبى هريرة ﷺ حينما قال له : « شكم درد » ؟ أى : هل وجع بطنك ؟

ب - وقد كان الأعشى يفد على ملوك المنـاذرة ، وكذلك فعل غيره من الشعراء ...

وحملوا كلمات أعجمية ، دخلت على اللغة العربية ، كقول الأعشى :

وَدَعَوْا بالصَّبُوح يَوْمًا فَجَاءَتْ قَيْنَةٌ فى يَمِينها إبْريق

جـ - قد يكون اللفظ الأعجمى أخف ، وأرشق من نظيره العربى .

وبذلك : تستعمل الكلمة الأعجمية ؛ لرشاقتها ، وخفتها ، وتُهجَرَ الكلمة العربية ؛ لعدم اتصافها بالرشاقة ، والخفة ....

وبذلك : غلب اللفظ الأعجمى فى الاستعمال ، وأهمل نظيره العربّى .

ومن أمثلة ذلك :

اللفظ الأعجمى المذكور	نظيره اللفظ العربى ، المهجور
النَّرجس	وكانت تطلق عليه لغة العرب « العَبْهر » .
المسْك	وكانت العرب تطلق عليه « المشمُوم » .
التوّت	وكانت العرب تطلق عليه « الفرْصَاد » .
الباذنجان	وقد سمته العرب « الحدْج » .
الهاَون	المسمّى فى العربية « المهْراس » .
الطاجن	وقد أطلقت عليه العرب « المقل » .

اللفظ الأعجمى المذكور	نظيره اللفظ العربى المهجور .
الإبريق الدِيُدَبان الرٌصاص	وقد كان معروفا لدى العرب « بالناموره » . المسمَّى عند العرب « بالْعَيْن » . الذى عرف عند العرب « بالصرِّفَان » .

وهذا يدلنا : على ما اتسمت به اللغة العربية من سَعَة الصدر ، ورحابته ، لكل ما خف على السمع ، وعَذَب فى النطق ، وكان له جرس طيِّب . . .

دون تعصب لما هو عربى ، وازْدِرَاء لغير العربّى .

وكذلك يدلنَا : على تقبل اللاهجين باللغة العربية لكل ما من شأنه أن يضفى على اللغة العربية : رشاقة ، وخفة روح ، وجمال نغم ، وانسجام حروف ، . . . .

ولا عجب ، فذلك إلهام الله (عز وجل) لهم ؛ لأنها لغة الكتاب المحفوظ ، والسنَّة المطهرة ، ولغة أهل الجنة فى دار الخلود . . . .

التعريب وطبائع الأشياء :

سبحان الله العظيم القائل ﴿ وَاختلاَفُ أَلسنَتكُم وَأَلوَانكُم ﴾[1]:

فاللسان العربى : الذى اعتاد النطق بالكلمات العربية يتعذر عليه النطق بالكلمات الأعجمية ، على وجه الصحة ، ودقة النطق . . .

ومثل ذلك : يتعذّر على الذين لا يعرفون الكلمات الأوروبية النطق بها نطقا دقيقًا ، سليمًا ، صحيحًا . . . .

من أجل ذلك : صار ضربةَ لاَزم ، أولا زب على أُمة العرب أن تحدث بأكثر الكلمات التى تتفوَّه بها ، وتعرِّبها ضَرْبًا من التغيير .

ونضرب لذلك أمثلة فيما يلى :

١ - **تعوض من الحرف الأعجمى** ، الذى لا يوجد فى لغتها حرفا عربيًا ، قريبا منه فى المخرج - فى الأعم الأغلب - ويندر أن تعوض حرفا بعيدًا منه فى المخرج .

---

(١) من الآية ٢٢ من سورة الروم .

ولعلّ **السبب** فى ذلك صعوبة نطقها لهذا الحرف ، وصيانة لغة العرب من أن يدخل فيها ما ليس منها ....

وذلك مثل : فِرِنْد السَّيف ، وبِرِنْد السَّيْف .

٢ - قد تبدلَ من غير داع للإبدال ، نحو : إسْمَاعِيل ، وسَرَاوِيل ، ودَسْت بدلا من : إشمائيل ، وشَرَاوِيل ، ودَشْت ...

ونقل السيوطى عن أبى حيان(١) فى الارتشاف :

الأسماء الأعجمية على **ثلاثة أقسام** :

قسم غيرته العرب ، وألحقته بكلامه ، **فحكم أبنيته** فى اعتبار الأصلى ، والزائد ، والوزن : حكم الأسماء العربية .

نحو : « دِرْهَم ، وبهْرَج . » .

وقسم غُيِّرَتْهُ ، ولم تلحقه بأبنية كلامها ، فلا يعتبر فيه ما يعتبر فى القسم الذى قبله ، نحو : « آجُرّ ... » .

وقسم تركوه غير مغير : فَمَا لم يلحقوه بأبنية كلامهم لم يعد منها ، وما ألحقوه بها عُدَّ منها .

مثال الأول : « خُرَاسَان » لا يثبت به « فُعَالان » .

ومثال الثانى : « خُرَّم » أُلحق « بسُلَّم » و « كُرْكُمْ » أُلْحق « بقُمْقُم »(٢).

ما تعرف به عجمة الكلمة :

تعرف عجمة بوجوه :

١ - النقل عن أئمة اللغة : بأن الكلمة أعجمية .

---

(١) أبو حيان :

محمد بن يوسف ... أثير الدين ، أبو حيان الأندلسى ، الغرناطىّ ...

النّفزى : نسبة إلى نفزة : قبيلة من البربر ، نحوى ، ولغويه ، ومفسره ، ومحدثه ، ومؤرخه ، وأديبه ... ولد سنة ٦٥٤هـ ، أخذ القراءات عن ابن الطباع ، والعربية عن كثيرين ، ... وبمصر عن البهاء : ابن النحاس ، وجماعة ، وتقدم فى النحو ... وسمع من أربعمائة وخمسين شيخا ... وأخذ عنه أكابر عصره ، وتقدَّموا فى حياته ... وصار تلامذته شيوخًا فى حياته ، صنَّف كثيرًا ... مات سنة ٧٤٥هـ .

(البغية ١/ ٢٨٠ - ٢٨٥ .)

(٢) ١/ ١٥٩ ، ١٦٠ المزهر .....

٢ - الخروج عن الأوزان العربية ، نحو : « إبْريم » لفقد ذلك فى أوزان الأسماء العربية .

٣ - أن يكون أوله نون ، ثم راء ، نحو « نَرْجس » ....

٤ - أن يكون آخر الاسم زايًا بعد دَال ، نحو : « مَهَنْدز » .

٥ - أن يجتمع فى الاسم الصـاد ، والجيم ، نحو : « الصَّوْلَجَـان ، والجص » .

٦ - أن يجتمع فيه الجيم ، والقاف ، نحو : « المنْجنَيق » .

٧ - أن يكون خماسيًا ، ورباعيًا عاريًا عن حروف الزَّلاَقة ، وهى هجاء : « مُرْ بِنَفْل »[1].

والكلمة المعربة : لا يخرجها عن أصلها الأعجمى مشاركتها لكلمة عربية فى الحروف فكلمة « سكر » المشاركة « لسكر النَّهر » : سده .

وقد أخذ منها ﴿ سُكِّرَت أَبصَارُنَا ﴾[2] .

وكلمة « آدَم » لا يضيرها أصلها ، ويحط من قدر الكلام الذى يحتوى عليها ؛ لأن تداول العرب لها قد أكسبها مسحة عربية صيرتها فى مستوى الألفاظ العريقة فى عربيتها .

ومن ذلك يمكننا أن تقول فى - اطمئنان : إن احتواء القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة على كلمات معربة لا يكون قادحًا فى عربيتهمـا ، بل تلك طبائع الأشياء : ترد الكلمة المعربة فى نهر اللغة العربية الصافى ، وتخضع لسَنَن العربية فى النطق ، وتكون مملوكة للغة العربية ، ملكية كملكيتها لكلماتها العربية .... فهى **أعجمية المنشأ ، عربية المآل** .....

والكلمات المعربة التى وردت فى اللغة العربية ، وصارت ملكا لها ، وضمتها قواميس اللغة ، ومعجماتها يصعب تحديد بلدها الذى نشأت فيه ، واستعملت ، وشاعت على وجه الدقة ، والتحديد ...

فقد تكون اسم نبت ، أو شجر ، أو حيوان ، أو طير ، أو دواء ، أو عطر ، أو أثاث ، .... أو غير ذلك ....

---

(١) انظر ١/ ١٦٠ المزهر .

(٢) من الآية ١٥ من سورة الحجر .

ويمكن وضع ضوابط ، تقربنا من التحديد :

فإن عرف أنها كانت تأتى من فارس ألحقت أسماؤها بالمعرب من الفارسيّة ، وإن تبين أنها كانت تجيء من الهند ألحقت أسماؤها بالمعرب من الهندية ، وإن كانت تأتى من جهتين صح إلحاق أسمائها بإحدى لغتى هاتين الجهتين ، مع مراعاة تقدم لغة البلاد ، التى هى أكثر إصدارًا لها إلى أمتنا العربية . . . .

وتذكر طرفا من ألفاظ غيَّرها اللسان العربى على **سبيل التمثيل** فيما يلى :

١ - « **المهتدز** » : الذى يقدر مجارى القنى ، والأبنية معرب ، وصبروا زايه سينًا ، فقالوا : « المهندس » ؛ لأنه ليس فى كلام زاى قبلها دال .

٢ - « **إشمائيل** » الهمزة ، والعين حلفتيـان ، ولذلك تم البدل ، فقـالوا : « إِسْمَاعِيل » .

٣ - « **التوت** » لفظة أعجمية معربة ، وأصلها فى اللسان الأعجمى « توث وتوز » :

فتم الإبدال . . . . . .(١)

وسر ذلك : الوصول إلى خفة النطق ، وحماية اللغة العربية مما يخالف طبيعتها . . . . .

وعلينا أن نعرض - بعد ما تقدم - كلمات ، تكون كالشواهد لما تقدم ، **وقبل ذلك نقول** :

ما أعظم الله (عز وجل) القائل ! : ﴿ وَاختِلاَفُ أَلسِنَتِكُم وَأَلوَانِكُم ﴾(٢).

وذلك : يدل على القدرة القادرة ، والإلهام للاهجين .

ا - **أسماء** : فارسيتها منسية ، وعربيتها محكية ، مستعملة :

من ذلك : الكفّ - . . . البزَّاز . . . الأَمير . . . الخليفَة . . . الحَلال . . . الحَرام . . . الْغَالية . . . الفَاختة . . . القُمْرىّ . . . النبيل . . . اللَّطِيف . . .

ب - **أسماء عربية** ، يتعذر وجود فارسية أكثرها :

من ذلك : الزكاة . . . الحج . . . القرآن . . . الضَّرِيع . . . السلسبيل . . . الزَّقُّوم . . . التَسْنِيم . . . مُنكَرَ ، ونَكِير . . .

---

(١) انظر ١/١٦١ ، ١٦٢ المزهر .

(٢) من الآية ٢٢ من سورة الروم .

جـ - **أسماء قائمة** فى لغة العرب ، والفرس على لفظ واحد :

التَّنُّور · · · الخُمير - · · · الدِّين - الكَنْز · · · ، الدِّنَيار · · · الدِّرْهَم · · ·

د - **أسماء فارسية** تفردت بها الفرس ، دون العرب ، فاضطرت العرب إلى تعريبها · · · ، أو تركها كما هى :

من ذلك فى الأوانى :

الكُوز - الإبريق - الطَّست - الخوان - الطَّبَق - القَصْعَة · · ·

وفى الملابس :

الخز - الدِّيباج - السُّنْدُس - السِّنْجَاب · · ·

وفى الجواهر :

اليَاقُوت · · · الفَيْرُوزج · · · البِجَاد · · · البلُّور · · ·

ومن ألوان الطبيخ :

الطَّباهج · · · الْخَامير · · · الرَّوْذَق · · ·

ومن الحلوى :

الفالوذَج · · · الجَوْز ينْج · · · اللوزينج · · ·

ومن الأشربة :

الجُلاَّب · · · الجُلَنْجَبين · · ·.[1]

ومن الأفاويه :

الدَّار صينى - الفُلْفُل ، الكَرَوْيَاء - القِرْفَة ، الزَّنْجَبِيل ، الخُولَنْجانَ · ·

ومن الرَّيَاحين :

النَّرْجس ، البنفْسج ، النَّسْرين ، السُّوسَن ، اليَاسِمِين · · ·

ومن الطيب :

المِسْك - العَنْبر - الكَافُور - الصَّنْدَل - القَرَنْفُل ·

هـ - كلمات : نسبها بعض أئمة اللغة إلى الرومية :

من ذلك :

الفِرْدُوْس : البُسْتَان ، القسْطَاس : الميزَان ، السَّجَنْجَل : المرآة ، البطاقة : رُقعة فيها رقم المتاع ، القرسطون : القبَّان ، · · ·

---

(١) انظر ص ٣١٤ إلى ٣١٧ فقه اللغة للثعالبى ·

القَسْطَل : الغبار ، البِطْرِيق : القائد ، التِّرياق : دواء السموم . . .[1].

مما تقدم يثبت لنا صحة ما يلى :

– أخذ اللغات بعضها من بعض .

– لا مانع من وقوع الحافر على الحافر – كما يقال :

بمعنى أن تتفق لغتان ، أو أكثر على استعمال بعض الكلمات بمعنى واحد .

– أكثر الأمم التى أخذت عنها اللغة العربية ، وعربت منها : الأمم التى ارتبطت بها بروابط المجاورة ، أو المتاجرة ، أو أى لون من ألوان الارتباط . . .

– للدين أثره البالغ فى النفوس ، وللأمم التى بعث إليها رسول ، ونزل عليه كتاب سماوىّ أثرت فى اللغة العربية ، على حسب الأمكنة ، والانتشار ، والعناية بنشر التعاليم الدينية . . .

– لا توجد لغة نقية تمام النقاء ، مادامت تختلط بغيرها ، لدواعى « التَّعَاون ، أو تبادل المنافع ، أو الارتحال ، أو غير ذلك . . .

– للاختلاط كبير الأثر فى نمو اللغات ، وغربلتها ، وبقاء الأصلح من الكلمات ، وتلك سنة الحياة وقانونها : البقاء للأصلح .

– سـأل على ﷺ شُرَيْحًا القاضى مسـألة ، فأجـاب بالصَّوَاب ، فقال له : « قَالُون » أى : أَصَبْتَ – باللغة الرومية . . .[2]

* * *

(١) انظر ص ٣١٨ ، ٣١٩ فقه اللغة للثعالبى .

(٢) انظر ص ٣١٨ ، ٣١٩ فقه اللغة للثعالبى .

القُرآنُ الكريُم ، والتَّعريب

اختلف الأئمة فى وقوع المعرب فى القرآن الكريم .

ونعرض آراءهم على النحو التالى :

الأكثرون :

وفى مقدمتهم : الإمام الشافعىّ ﷺ ، وابن جَرير ، أبو عُبَيْدة[1] ، والقاضى أبو بكر ، وابن فارس ، ....

فقد ذهب هؤلاء على عدم وقوع المعرب فى القرآن الكريم .

واستدل هؤلاء العظماء بقوله تعالى : ﴿ قُرآنًا عَرَبيًّا[2] ... ﴾ وبقوله تعالى : ﴿ ولَو جَعَلنَاهُ قُرآنًا أعجَميًّا لَّقَالُواْ لَولاَ فُصِّلَت ءَايَاتُهُ ءَاعجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾[3] .

وقد شدَّد الإمام الشافعىّ النكير على القائل بوقوع المعرَّب فى القرآن الكريم .

ومن قول أبى عبيدة ، الذى نقلـه السيوطى : ﴿ إنَّما أُنْزِلَ القُرْآنُ بِلِسَانٍ عَرَبىّ ، مُبِينٍ ﴾ .

فمـن زعم أن فيه غير ذلك ، فقد أعظم القول ، ومن زَعَم « كِذَّابًا » بالنبطيـة ، فقد أكبر القول[4] .

وقال ابن أوس : « لو كان فيه من لغة غير العرب لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله ؛ لأنه أتى بلغات ، لا يعرفونها »[5].

وقال ابن جرير : « ما ورد عن ابن عباس ، وغيره من تفسير ألفاظ القرآن أنها

---

(١) أبو عبيدة :

هو معمر بن المثنى ، والتيميى ، النحوى ... قيل : لم يكن فى زمانه أعلم منه ، كان عالما بالشعر ، والغريب ، واللغة ، والأخبار ، والأنساب ... ألف ما يقرب من مائتى مصنف .

مات سنة ٢١٠هـ .

(٢) من الآية ٣ من سورة الزخرف .

(٣) من الآية ٤٤ من سورة فُصِّلت .

(٤) ١/ ٢٣١ الإتقان فى علوم القرآن .

(٥) ١/ ٢٣١ الإتقان فى علوم القرآن .

بالفارسية ، والحبشية ، والنبطية ، أو نحو ذلك إنما اتفق فيها توارد اللغات ، فتكلمت بها العرب ، والفرس ، والحبشة بلفظ واحد »[1].

وذهب آخرون :

إلى أن العرب العاربة ، الذين نزل القرآن بلغتهم ، قد كانت لهم مخالطة لسائر الألسنة فى أسفارهم ، فعلقت من لغاتهم ألفاظ ، غيَّرت بعضها بالنقص من حروفها ، واستعملتها فى أشعارها ، ومحاوراتها ، حتى جرت مجرى العربىّ الفصيح ، وصارت ملكًا لها ، ووقع بها البيان .

وعلى هذا الحد نزل القرآن[2] .

والقول الثانى خليق بالنظر إليه .

ويمكن توجيه كلام المانعين : على معنى أن القرآن أخذ ألفاظا من لغات أخرى ، غير عربية ، على ما هى عليه ، دون أن يستعملها اللسان العربى ، وأن يضع عليها بصماته .

ولكننا إذا قلنا :

إن اللفظ الأعجمى ورد إلى اللغة العربية ورودًا طبيعيًا للأسباب ، والدوافع التى أشرنا إليها سابقا ، وخضع هذا اللفظ للنطق العربى ، وغيرت فيه العرب بما وَاءَم نطقها ، وضمته إلى حصيلة ألفاظها ، وصار ملكا لها ، كاللفظ العربى تمامًا .

وقد نزل القرآن الكريم مشتملا على النوعين : العربى الأصيل ، والمعرَّب ، الذى صار ملكا للسان العربى ، بعد قبوله ، وإحداث التغيير فيه ، وإخضاعه للنطق العربى الأصيل .

وهذا الذى يمكن أن نحمل كلام المانعين عليه ....

ولعلهم لا يرون بأسًا فى ذلك ، ولا تنقصه أدلتهم ....

وغير خاف علينا الدافع الخفى وراءَ هذا المنع من هؤلاء المانعين .

فهم يحيطون الذكر الحكيم بسياج منيع من الجلال ، وغَيْرَتهم على لغته فى استغنائها عن غيرها من اللغات الأخرى .

---

(١) ١/ ٢٣١ الإتقان فى علوم القرآن .

(٢) ١/ ٢٣١ ، ٢٣٢ الإتقان فى علوم القرآن .

وقال آخرون : كل ألفاظ القرآن عربية صرفة ، ولكن لغة العرب متسعة جدًا ، ولا يبعد أن تخفى على الأكابر الجلّة .

وقد خفى على ابن عباس ﷺ معني ﴿ فَاطِر ﴾ ، ويستشهدون بقول الشافعى ﷺ فى الرسالة : « لا يحيط باللغة إلا نَبِىٌّ »[1].

وذهب آخرون :

إلى وقوع المعرَّب فى القرآن الكريم .

وأجاب المجيزون عن أدلة المانعين ، فقالوا :

« إن قول الله تعالى : ﴿ قُرآنًا عَرَبِيًّا ﴾ لا يخرجه عن عروبته وقوع لفظة غير عربية ، كالقصيدة الفارسية - مثلا - لا يخرجها عن فارسيتها وقوع لفظة عربية فيها .

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ أأعجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ ؟ : بأن المعنى من السياق : أكلامٌ أعْجَمى ، ومخاطب عَرَبىّ ؟

كما استدلوا باتفاق النحاة على أن منع صرف نحو « إبْرَاهيم » للعلمية ، والعجمة .

والنحاة لا يتفقون إلا على ما كان صوابا .

والدليل النحوى يمكن ردّه : بأن الأعلام ليس محل خلاف .

فالكلام فى غيرها موجه بأنه : إذا اتفق على وقوع الأعلام ، فلا مانع من وقوع الأجناس[2].

ويذكر السيوطى : فى هذا الصدد - ويصفه بأنه أقوى ما رآه لوقوع المعرَّب فى القرآن الكريم .

وما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبى مَيْسَرة : التـابعى الجليل ، قال : « فى القُرآن مِنْ كُلِّ لِسَان »[3] .

ويذكر - كذلك - : أن ما تقدم روى مثله سَعيد بن جُبَيْر ، ووهب بن مُنَبّه .

وأصحاب هذا الرأى يذكرون الحكمة فى وقوع المعرَّب فى القرآن الكريم ، **على النحو التالى** :

---

(١) ١/ ٢٣٢ الإتقان فى علوم القرآن .

(٢) انظر ١/ ١٣٢ الإتقان فى علوم القرآن .

(٣) ١/ ٢٣٢ الإتقان فى علوم القرآن .

١ - حوى الذكر الحكيم من علوم الأولين ، والآخرين ··· وذلك يتطلب الإشارة إلى أنواع اللغات ، والألسن ، ليتم إحاطته بكل شىء ، فاختير له من كل لغة أعذبها ، وأخفها ، وأكثرها استعمالا ····

٢ - الرسول العظيم مرسل إلى الخلق كافة ، ورسالته عامة ، شاملة ، لابد لكمال بلوغ الرسالة من أن يكون الكتاب المنزل عليه فيه من كل لسان وإن كان أصله بلغته هو ·

٣ - رَغَّب الله تعالى عباده فى الطاعة ، ووعدهم عليها الجنة ، وفيها من المطاعم ، والمشارب ، والملابس ما ليس له نظير فى لغة العرب ·

وقد كانوا يسمعون ببعض ذلك فى لغات أخرى كالفرس مثلا ، ··· فاشتمل الذكر الحكيم على شىء من ذلك ·

٤ - كلمة « اسْتَبْرَق » - مثلا - يجب على كل فصيح أن يتكلم بها فى موضعها ؛ لأنه لا يجد فى لغة العرب ما يقوم مقامها ·

وأى فصاحة أبلغ من ألا يوجد غير اللفظ المعرَّب ، الذى يؤدى المعنى ، ويكون مستقرًا فى موضعه ؟ ····

ويثلج الصدر فى هذا المقام ما قاله العالم اللغوى : أَبُو عُبَيْد[1]: القاسم بن سلاَّم بعد أن عرض القول بالوقوع من الفقهاء ، والمنع من أهل العربية ·

والصواب عندى :

مذهب فيه تصديق القولين جميعا :

وذلك : أن هذه الأحرف : أصولها أعجمية ، كما قال الفقهاء ، لكنها وقعت للعرب ، فعربتها بألسنتها ، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها ، فصارت عربيَّة ·

---

(١) أبو عبيد :

هو أبو عُبَيْد : القاسم بن سلام ·

كان أبوه عبدًا روميًا لرجل من هراة ، فاشتغل أبو عبيد بالحديث ، واللغة ، ثم الأدب ، والفقه ···

وكان ذا دين ، وحسن سيرة ، متفننا فى العلوم ، حسن الرواية ، صحيح النقل ··· روى الناس من كتبه المصنفة بضعة ، وعشرين كتابا ، وكان من قوَّامى الليل ··· مات سنة ٢٢٤هـ · بمكة المكرمة ·

ثم نزل القرآن ، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب .

فمن قال : إنها **عربية فهو صادق** ، ومن قال : **عجمية فصادق**(١) .

ويقول السيوطى :

ومال إلى هذا القول الجواليقى ، وابن الجوزى ، وآخرون(٢) .

وهذا هو القول الجدير بالقبول ، والخليق بأن يوصف بالنظرة السليمة ، والجديرة بالارتياح إليها .

ومن الذين رأوا وقوع المعرب فى القرآن الكريم السيوطى .

وقد قال :

قد أفردت فى هذا النوع كتابا سميته : « المهذَّب فيما وقع فى القرآن من المعرَّب »(٣) .

ثم قال :

« وهذا سرد الألفاظ الواردة فى القرآن من ذلك ، مرتبة على حروف المعجم »(٤) .

وسنتناول ما يتعلق بهذه الألفاظ - (إن شاء الله تعالى) - بعونه ، وفتحه - على حسب ترتيبه ، مع الاهتمام - **ما أمكن ذلك** - بما يلى :

١ - ذكر اللفظ .

٢ - الآية الكريمة التى وردت الكلمة فيها ، ورقمها فى سورتها ، وسورتها . . . .

٣ - اللغة الأصلية لهذه الكلمة ، ومعناها فيها - ما أمكن ذلك - .

٤ - المعنى فى الآية الكريمة .

٥ - المعنى العام للآية الكريمة . . .

وذلك فى ضوء ما تجود به المراجع ، التى بين أيدينا . . .

حتى يعش المطَّلع على هذا الجهد فترة طيبة ، مباركة ، مع الذكر الحكيم : متعلما ، متذكرا ، باحثًا ، متفقها ، فاهمًا ، فائقًا ، . . .

---

(١) ١/ ٢٣٤ الإتقان فى علوم القرآن .

(٢) ١/ ٢٣٤ الإتقان فى علوم القرآن .

(٣) ١/ ٢٣٢ الإتقان فى علوم القرآن .

(٤) ١/ ٢٣٢ الإتقان فى علوم القرآن .

ليحفزه هذا العمل على الاستمرار فى البحث ، والدرس ، . . .

وحصيلة ذلك كله :

راحة النفس ، وإقبالها على الله تعالى ، ورضاها ، وتنزيهه عن كل مالا يليق به ، والتنزود من العلم النافع ، والتمكن من اللغة العربية ، الغنية بذاتيتها ، وبما اتسع صدرها له من اللغات الأخرى ، التى احتضنتها وصيرتها منها . . . .

ولا يسع المطلع على ذلك إلا أن يلهج بالثناء على الله تعالى ، الذى اختار لنا الإسلام دينًا ، والقرآن كتابًا ، والرسول الأمين رسولاً ، واللغة العربية لغةً ووفقنا لفهم سَنَنِها فى التعبير ، وطرائقها فى التبيين . . . .

* * *

اللفظ	الآية ، والسورة ٠	اللغة ، والمعنى ٠٠٠
أَبَارِيق	﴿ بِأَكوَابٍ وَأَبَارِيقَ ٠٠٠ ﴾ من الآية ١٨ من سورة الواقعة ٠	حكى الثعالبى فى فقه اللغة أن الكلمة **فارسية** ٠٠٠ وقال الجواليقى : « الإبريق » **فارسى** معرّب ٠ **ومعناه** : طريق الماء ، أو صب الماء على هيْنَة ٠٠٠ أى : يطاف على أهل الجنة بما لذَّمن الشراب : بأكواب يصب فيها ، وأباريق لحفظه ، وحمله ، وصبه ٠٠٠
أَبّ	﴿ ٠٠ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ٠٠ ﴾ الآية ٣١ من سورة عبس ٠	قال بعضهم : هو الحشيش ، بلغة أهل **المغرب** ٠ وفى القاموس المحيط « **الأبّ** » : « الأَبّ : الكلأ ، والمرعى ، وما أنبتت الأرض ٠٠٠ » ٠ أى : أنبت الله تعالى فى الأرض ما يتفكه به ، ويتنعم به ، وما ترعاه الأنعام ، وأكلة الأعشاب ٠٠٠
ابْلَعِى	﴿ وَقِيلَ يَا أَرضُ ابلَعِى مَآءَكِ ٠٠ ﴾ من الآية ٤٤ من سورة هود ٠	عن وهب بن منبّه : أن الكلمة **حبشية** ، ومعناها : ازدرديه ٠ وعن أبى الشيخ ، عن طريق جعفر بن محمد ،عن أبيه: أن الكلمة بلغة **الهند** ٠

اللغة ، والمعنى . . .	الآية ، والسورة .	اللفظ
وفى القاموس المحيط ، مادة (بَلِعَهُ) ، كسَمِعَهُ : ابْتَلَعَه . . . بعد هلاك الكفر ، والكفرة على الأرض بالطوفان ، قيل لها : لقد تم المقصُود : فابتلعي ماءك،وازدرديه . . .		
قال الواسطى فى الإرشاد : إن الكلمة **عبرية** : ومعناها فى العبرية « ركن » وفى المختار مادة (خ ل د) . « . . . وأخلد إلى فلان : ركن إليه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أخلد إلى الأرض ﴾ . **والمراد به :** عالم من بنى إسرائيل : هو بلعم بن باعوراء .	﴿ وَلَو شِئنَا لَرَفَعنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخلَدَ إِلَى الأَرضِ . . ﴾ من الآية ١٧٦ من سورة الأعراف .	أَخْلَدَ
اللغة الأصلية : **الحبشية** . وحكى ابن الجوزى فى « فنون الأفنان » أن معناها فى **الحبشية** : السُّرُر وفى الصحاح ،مادة (أرك) « والأريكة سرير منجد ، مزين،فى قبة ، أو بيت ، فإذا لم يكن فيه سرير ، فهو حجلة ، وجمعها أرائك » . وصف لنعم أهل الجنة ، وأزواجهم . . .	﴿ هُم وَأَزوَاجُهُم فِى ظِلاَلٍ عَلَى الأَرَائِك . . ﴾ مِنَ الآية ٥٦ مِنَ سورة يس .	الأَرَائِك

اللفظ	الآية ، والسورة	اللغة ، والمعنى ٠٠٠
آزَر	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ٠٠ ﴾ من الآية ٧٤ من سورة الأنعام ٠	عد فى المعرّب على قول من قال : إنه ليس بعلم ، لأبى إبراهيم، ولا للصنم ٠ وقال ابن أبى حاتم : ذكر عن معتمر ابن سليمان قال : سمعت أبى يقرأ « وإذ قال إبراهيم لأبيه آزرُ - يعنى بالرفع ، قال بلغنى أنها : أعوج ، وأنها أشد كلمة قالها إبراهيم لأبيه ٠ وهذا مستبعد من إبراهيم (عليه الصلاة ، والسلام) وقال بعضهم بلغتهم : « يا مخطىء » ٠ وهذا بعيد - أيضا - من إبراهيم الأوَّاه ، الحليم ٠ وفى مختار الصحاح ، مادة (أزَر) : « ٠٠ وآزر : اسم أعجمىّ » ٠ وفى القاموس المحيط، مادة (الأزر) : « وآزَر : كهَاجَر ناحية بين الأهواز ، ورامهرمز ، وصنم ، وكلمة ذم فى بعض اللغات ، واسم عم إبراهيم ، وأما أبوه فإنه تارح، أو هما واحد ٠٠٠ **وهى لغة كنعان ٠**
أَسبَاط	﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ٠٠ ﴾ من الآية ١٦٠ من سورة الأعراف ٠	يقول أبو الليث فى تفسيره : الأسباط بلغتهم - كالقبائل بلغة العرب ، وفى المختار ، مادة (س ب ط) : « ٠٠ والسبط : واحد الأسباط ، وهم : ولد الولد ، والأسباط من بنى إسرائيل

اللغة	الآية ، والسورة .	اللغة والمعنى . . .
		كالقبائل من العرب . وقوله تعالى : ﴿ وَقَطَّعنَاهُمُ اثنَتَى عَشرَةَ أَسبَاطًا أُمَمًا . . ﴾ . إنما أنث ؛ لأنه أراد : اثنتى عشرة فرقة ، ثم أخبر أن الفرق أسباط ، وليس الأسباط بتفسير ، وإنما هو بدل من اثنتى عشرة ؛ لأن التفسير لا يكون إلا واحدًا ، منكرا ، كقولك : اثنى عشر درهمًا ، ولا يجوز دَرَاهِم » .
إستبرق	﴿ عَالِيَهُم ثِيَابُ سُندُسٍ خُضرٌ وَإِستَبرَقٌ . . ﴾ من الآية ٢١ من سورة الإنسان .	ذكر السيوطى عن ابن أبى حاتم ، عن الضحاك أنه : الديباج الغليظ ، بلغة **العجم** . وفى القاموس المحيط ، مادة (السيرق) : « . . والإستبرق : الديباج الغليظ » . **فارسىّ** معرب » .
أسْفَار	﴿ كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحمِلُ أَسفَارًا . . ﴾ من الآية ٥ من سورة الجمعة .	الأسفار : الكتاب **بالسريانية** ، وهى الكتب - أيضا - **بالنبطية** . وفى القاموس المحيط ،مادة (السفر) : « . . والسِّفْرُ : الكتاب الكبير ، أو جزء من أجزاء التوراة . . . والسَّفَرَة : الكَتَبَة : جمع سَافِر . . . » . **والمعنى** : من لا يعلم بموجَب ما علم كان كمثل الحمار يحمل كتبا ضخمة ،

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
		يناله منها الكد ، والتعب ، ومثل ذلك من حمل التوراة ولم يعمل بها .
إصْرى	﴿ قَالَ : أَأَقْرَرتُم وَأَخَذتُم عَلَى ذَلكُم إِصرِى . . ؟﴾ من الآية ٨١ من سورة آل عمران .	قال أبو القاسم فى لغات القرآن معناه : عهدى : **بالنبطية** . وفى المختار ، مادة (أ ص ر) « والإِصْر - بالكسر - العهد ، وهو - أيضا - : الذنب ، والثقل . . . » .
أكْوَاب	﴿ وأَكوَابٌ مَّوضُوعَةٌ ﴾ من الآية ١٤ من سورة الغاشية .	الأكواب : الأكْوَاز - **بالنبطية** ، وعن الضحاك : أنها بالنبطية ، وأنها جرار ، ليس لها عرى ، وفى المختار ، مادة (ك و ب) « الكوب . بالضم - : كوز ، لا عروة له ، وجمعه أكْوَاب » .
إلّ	﴿ كَيفَ وَإِن يَظهَرُواْ عَلَيكُم لاَ يَرقُبُواْ فيكُم إِلاًّ وَلاَذمَّةً . . ﴾ من الآية ٨ من سورة التوبة .	نقل السيوطى قول ابن جنى ، الذى قال : ذكروا أنه اسم الله تعالى ، باللغة **النبطية** . وفى المختار ، مادة (**أ ل ل**) : « الإلّ . - بالكسر - هو الله (عز وجل) وهو - أيضا - : العهد ، والقرابة » .
أَليم	﴿ لَئن لَّم تَنتَهُواْ لَنَرجُمَنَّكُم وَلَيَمَسَّنَّكُم منَّـا عَذَاب أَليمٌ ﴾ من الآية ١٨ من سورة يس .	يقول ابن الجوزى : إنه الموجع ، باللغة **الزنجية** . وقال شيدلة : **بالعبرانية** . وفى المختار ، مادة (أ ل م) : « . .

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
		والأليم : المؤلم ، كالسَّميع ، بمعنى : المُسْمِع » .
إِنَاهُ	﴿ إلاَّ أن يُؤذَنَ لَكُم إلَى طَعَامٍ غَيرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ ﴾ من الآية ٥٣ من سورة الأحزاب .	إناه : نضجه : بلغة أهل **المغرب** ، وذكر أبو القاسم: أنه بلغة أهل **البربر** . وجاء فى أساس البلاغة ، مادة (أ ن ى) : « . . انتظرنا إِنّى الطعام ، أى : إدراكه . . . غَيْرَنَا ظرَيَّن إِنَاهُ » . **يقال** : أَنَى الطعام أَنّى ، وحميم آن ، وعين آنية : قد انتهى حرُّهَا .
أَوَّاه	﴿ إنَّ إبراهيمَ لأوَّاه حَليمٌ ﴾ من الآية ١١٤ من سورة التوبة .	الأوَّاه : الموقن : بلغة **الحبشة** . والأوَّاه : الرحيم : بلغة **الحبشة** - أيضا - . والأواه : الدَّعاء : باللغة **العبرية** ، وفى أساس البلاغة ، مادة (أوه) « تأوَّه من خشية الله تعالى ، وفلان متألّه ، متأوّهٌ . . »
أوَّاب	﴿ وَوَهَبنَا لدَاوُدَ سُلَيمَانَ نِعمَ العَبدُ إِنَّهُ أَوَّاب ﴾ . من الآيــة ٣٠ من ســورة ص .	الأداب : المسبِّح ، بلغة **الحبشة** . وقوله تعالى : ﴿ يا جبَال أوِّبى معه ، والطير ﴾ أى : سبِّحى معه ، بلغة أهل **الحبشة** - أيضا - . وفى مختار الصحـــاح ، مادة (أ و ب) : « . . الأوَّاب : التائب » .

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
الأولَى والآخِرة	﴿ إنَّ هَذَا لَفِى الصُّحُفِ الأُولَى ﴾ من الآية ١٨ من سورة الأعلى . ﴿ وَالآخِرَةُ خَيرٌ وَأَبقَى ﴾ من الآية ١٧ من سورة الأعلى .	حكى السيوطى عن شيدلة : الجاهلية الأولى ، أي : الآخرة ، فى الملة الآخرة ، الأولى : **بالقبطية** . والقبط : يسمون الآخرة : الأولى ، والأولى : الآخرة . **ويقول** : « وَصدّق ذلك الزركشى ، فى البرهان وفى مختار الصحاح ، مادة (أ خ ر) « . . . والآخــرة بعـد الأولى . . » .
بطائنها	﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُش بَطَآئِنُهَا مِنَ إِستَبرَق . . ﴾ من الآية ٥٤ من سورة الرحمن .	عن شيدلبة : بطائنها : ظواهرها ، لغة قبطية . وحكى ذلك الزركشى . وفى المختار ، مادة (ب ط ن) « . . وبِطَـانَة الثـوب - بالكسر - ضد ظِهارَته . . » .
بَعبير	﴿ . . وَلِمَن جَآءَ بِهِ حِملُ بَعِير . . ﴾ من الآية ٧٢ من سورة يوسف .	عن مجاهد : كيل بعير ، أى : كيل حمار . وعن مقاتل : أن البعير : كل ما يحمل عليه ، باللغة **العبرانية** . وفى المختار ، مادة (ب ع ر) ، البعير : يشمل الجمل ، والناقـة كالإنسان للرجل ، والمرأة ، وإنما يسمى بعيرًا : رذا أجذع ، والجمع : أَبْعِرَة وأَبَاعر ، وبُعْرَان . . » .

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
بِيَع	﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ . . ﴾ من الآية ٤٠ من سورة الحج	حكى السيوطى عن الجواليقى : أن البيعة ، والكنيسة **فارسيان** معربان . وفى المختار (ب ى ع) : « والبيعة : كنيسة النصارى » .
تَنُّور	﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ . . ﴾ من الآية ٤٠ من سورة هود .	حكى السيوطى عن الجواليقى ، والثعالبى : أن اللفظ **فارسى** معرب . وفى المختار ، مادة (ت ن ر) : « التنور : الذى يخبز فيه ، وقوله تعالى وفَار التَّنُّور » : قال على ﷺ هو : وجه الأرض » .
تَتْبِيرا	﴿ . . وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ من الآية ٧ من سورة الإسراء .	عن سعيد بن جبير ﷺ أنه قال : تبره : لغة **نبطية** . وفى المختار ، مادة (ت ب ر) : « . . والتَّبار - بالفتح - الهلاك ، وتَبَّره تتبيرا : كسَّره ، وأهلكه ، وهؤلاء متبَّرٌ ما هم فيه ، أى : مكسَّر مُهْلك » .
تَحْت	﴿ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي . . ﴾ من الآية ٢٤ من سورة مريم .	عن أبى القاسم فى لغات القرآن : فناداها من تحتها : أى : بطنها ، لغة **نبطية** ، وعزز ذلك الكرمانىّ . وفى القاموس المحيط ، مادة (تحت) : « تحت : نقيض فوق ، يكون ظرفا ، ويكون اسما ، ويبنى فى حال اسميته على الضم ، فيقال : من تحتُ .

اللفظ	الآية ، والسورة .	المعنى ، واللغة . . .
		والتحوت : الأرْذَال ، السَّفْلَة » .
الجِبْت	﴿ أَلَم تَرَ إلَى الَّذينَ أُوتُواْ نَصيبًا مِّنَ الكتَابِ يُؤمنُونَ بِالجبت وَالطَّاغُوت . . ﴾ مِنَ الآية ٥١ من سورة النساء .	الجبت : اسم للشيطان ، لغة **حبشية** ، وفى المختار : « الجِبت : كلمة تقع على الصنم ، والكاهن ، والساحر ، ونحو ذلك . وفى الحديث : الطيرة ، والعيافة ، والطرق من الجبت . وفى أســاس البلاغة ، مادة (ج ب ت) : « هو شر من أصحاب السَّبْت ، ومن المؤمنين بالجِبْت » .
جَهَنَّم	﴿ يومَ نَقُولُ لجَهَنَّمَ : هَلِ امتلأت ؟ تَقُولُ : هَل مِن مَّزِيد ؟ ﴾ الآية ٣٠ مِّن سورة ق	قيل جهنم لغة **عجمية**،وقيل **فارسية** ، وقيل : **عبرانية** ، وأصلها : كهنام ، وجاء فى المختار،مادة (ج هـ ن) « . . جهنم : من أسماء النار ، التى يعذب الله بها عباده . ولا يُجْرَى : للمعرفة ، والتأنيث ، هو : **فارسى** معرب » .
جَرَمَ	﴿ لاَ جَرَمَ أَنَّ اللهَ يَعلَمُ مَا يُسرُّونَ وَمَا يُعلنُونَ . . ﴾ مِنَ الآية ٢٣ من سورة النحل .	جرم : وجب ، لغة **حبشية** ، وفى المختار ، مادة (ج ر م) « لا جرم : **قال الفراء** : هى كانت فى الأصل بمنزلـة : لاَ بُدَّ ، ولا محالة ، فجرت على ذلك ، وكثرت حتى تحولت إلى معنى القسم ، وصارت بمعنى حقًّا » .

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
حَصَب	﴿ إِنَّكُم وَمَا تَعبُدُونَ من دُون الله حَصَبُ جَهَنَّم . . ﴾ من الآية ٩٨ من سورة الأنبياء .	عن ابن عباس رضي الله عنه فى قوله تعالى : ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ أى : حطب جهنم ، لغة **زنجية** . وفى مختار الصحاح : مادة (ح ص ب) : « والحَصَب - بفتحتين - ما تحصب به النار ، أى : ترمى ، وكل ما ألقينه فى النار ، ضد حصبتها ، وبابه ضرب » .
حِطَّة	﴿ وَادخُلُوا البَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغفر لَكُم خَطَايَاكُم . . ﴾ من الآية ٥٨ من سورة البقرة .	قيل المعنى : وقولوا صوابا : لغة **عبرانية** ، وفى المختار مادة (ح ط ط) : وقوله تعالى ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ : أي : حُطَّ عنَّا أوزَارَنَا . وقيل : هى كلمة أُمِرَ بهـا بنـو إسرائيل،لو قالوهم لحطت أوزارهم » .
حَوارِيُّون	﴿ قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحنُ أَنصارُ الله ﴾ مَن الآية ١٤ من سورة الصف .	الحواريَّون : الغسَّالون ، لغة **نبطية** . وأصله : **هوَارىّ** . وفى المختـــار ، مـادة (ح و د) : « . . وتحوير الثياب : تبيضها . ومنه قيل لأصحاب عيسى (عليه السلام) الحوارِيُّون : ؛ لأنهم كانوا قصارين ، وقيل : الحوارىّ : النَّاصر . قال النبى صلى الله عليه وسلم : الزبير بن العوام ابن عمتى، وحَوَارىّ من أُمَّتى » .

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
حُوب	﴿ وَلاَ تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَالَهُم إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ من الآية ٢ من سورة النساء .	حوبًا : إثمًا لغة **حبشية** . وفى المختار ، مادة (ح و ب) : « الحوُب - بالضم - والحاب : الإثم . وقد حاب بكذا : أى : أثم ، وبابه قال ، وكتب ، وحَوْبة أيضا - بفتح الحاء - » .
دَرَسْت	﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الأَيَاتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ . . ﴾ من الآية ١٠٥ من سورة الأنعام .	درست : قرأت ، لغة **يهودية** . وفى أساس البلاغة ، مادة (دَرَسَ) : « . . ودرس الكتاب للحفظ : كرر قراءته درسًا ، ودراسة ، ودرس غيره ، ودارسته الكتاب مدارسة ، وتدارسوه ، حتى حفظوه ، واجتمعت اليهود فى مدارسهم ، وهو : بيت تدرس فيه التوراة » .
دُرِّىّ	﴿ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ . . ﴾ من الآية ٣٥ من سورة النور .	الدُّرِّىّ : المُضىء ، لغة **حبشية** . وفى القاموس المحيط ، مادة (درأه) : « . . وكوكب درِّى - كسكيِّن - ويضم ، وليس « فعِّيل » سواه ، ومُرِّيق : متوقد ، متلألىء ، وقد درأ دروءًا ، ودُرِّىٌّ - بالضم - والياء ، فى درر . . » .
دِينَار	﴿ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ	ذكر الجواليقى ، وغيره : أن الدينار

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
	بِدِينَار لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ . . ﴾ من الآية ٧٥ من سورة آل عمران .	**فارسىّ** ، معرب ، وفى القاموس ، مادة (الدنيار) : « الدنيار : معرب أصله دنَّار ، فإبدل من إحداهما ياء ، لئلا يلتبس بالمصادر ، ككذّاب . . . ودَنَّر وجهُه تَدْنيرًا : تلألأ ، ودينار مُدَنَّر : مضروب . . » .
رَاعِنَا	﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ : انظُرْنَا . . ﴾ من الآية ١٠٤ من سورة البقرة .	قال السيوطى ، فى الإتقان : (١/ ٢٣٥) : أخرج أبو نعيم فى دلائل النبوة عن ابن عباس ، قال : « راعنا : سب بلسان **اليهود** . وفى المختار - ، مادة (ر ع ى) : « . . وراعى الأمر : نظر الأمر إلى أين يصير ، وراعاه : لاحظه ، وراعاه : من مراعاة الحقوق . . » . وفى أساس البلاغة ، مادة (ر ع ى) : « . . وأنا أرعى فلانا : أنظر ماذا يفعل ، وأرعيته سمعى ، وراعنى سمعك . . » . ويقول جار الله الزمخشرى فى كشافه (١/ ١٧٤) : « كان المسلمون يقولون لرسول الله ﷺ إذا ألقى عليهم شيئا من العلم : **راعنا** يا رسول الله ، أى : راقبنا ، وانتظرنا ، وتأن بنا ، حتى نفهمه ، ونحفظه . وكان لليهود كلمة يتسابون بها :

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
		عبرانية ، أو **سريانية** ، وهى : راعينا . فلما سمعوا المؤمنين يقولون : راعنا : افترصوه ، وخاطبوا به الرسول ﷺ ، وهم يعنُون به تلك السبة . نهى المؤمنون عنها ، وأمروا بما هو فى معناها ، وهو : « انظرنا » من نظره : إذا انتظره . . » . وقرأ الحسن : « رَاعنًا » - بالتنوين - من الرعن ، وهو : الهوج ، أى : لا تقولوا قولا راعنًا ، منسوبا إلى الرعن ، بمعنى راعنا ، كدارع ، ولابن » .
ربَّانيُّون	﴿ يَحكُمُ بهَا النَّبِيُّونَ الَّذينَ أَسلَمُواْ للَّذينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانيُّونَ وَالأَحبَارُ بمَا استُحفظُواْ من كتَاب الله وَكَانُواْ عَلَيه شُهَدَاءَ . . ﴾ من الآية ٤٤ من سورة المائدة .	نقل السيوطى عن الجواليقى أنه قال : قال أبو عبيدة : العرب لا تعرف الربانيين ، وإنما عرفها الفقهاء ، وأهل العلم . قال : وأحْسب الكلمة ليست **بعربية** ، وإنما هى عبرانية ، أو **سريانية** ، جزم القاسم : أنها **سريانية** . (١/ ٢٣٥) الإتقان . . . وفى المختار ، مادة (ر ب ب) والرَّبَّانىّ : المتألّه ، العارف بالله تعالى ، ومنه قوله تعالى ﴿ ولكن كُونُوا ربَّانِيِّينَ ﴾ .
ربِّيُّونَ	﴿ وكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ	فى كتاب الزينة لابن أبى حاتم : أحمد

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
	ربِّيُّونَ كَثِيرٌ . . ﴾ من الآية ١٤٦ من سورة آل عمران .	بن حمدان اللغوى : أنها **سريانية** . وفى المختـــار ، مـادة (ر ب ب) : « . . والربِّى »بالكسر – واحد الربيين ، وهم الألوف من الناس ، ومنه قوله تعالى ﴿ ربِّيُّون كثير ﴾ .
الرحْمَن	﴿ الرَّحمَنُ عَلَّمَ القُرآنَ ﴾ الآيتان ١ ، ٢ من سورة الرحمن .	سجل السُّيُوطى فى إتقانه (١/ ٢٣٦) قوله : « ذهب الميرد ، وثعلب إلى إلى أنه **عبرانى** ، وأصله : الخاء المعجمة . وفى المختـــار ، مـادة (ر ح م) : « والرحمن الرحيم : اسمان مشتقان من الرحمة ، ونظيرهما : نَديم ، ونَدْمان ، وهما بمعى ، ويجوز تكرير الاسمين ، إذا اختلف اشتقاقهما على جهة التأكيد ، كما يقـال : فلان جاد ، مجد ، إلا أن « الرَّحْمَن » اسم مختص بالله تعالى ، لا يجوز أن يسمى به غيره ، ألا ترى أنه (سبحانه وتعالى) قال : « قُلِ ادْعُوا اللهَ ، أَوِ ادْعُوا الرَّحَمَنَ » فعادل به الاسم ، الذى لا يشركـه فيـه غيره . [الله] . وكان مسيلمة الكذاب يقال له : رَحْمَان اليَمَامَة . **والرحيم** : قد يكون بمعنى المرحُوم ، كما يكون بمعنى الرَّاحم . **ويقول** الزمخشرى فى قول بنى حنيفة

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
		فى مسيلمة : « رَحْمَان اليمامة » . . . وأمـا قـول بنى حنيفـة فى مسيلمـة « رحْمَان اليمامة » وقول شاعرهم فيه : . . . وأَنْتَ غَيْثُ الْوَرَى ، لاَزِلْتَ رَحْمَانَا فباب من تعنتهم فى كفرهم (١/ ٧) الكشاف . ويجيب الزمخشرى عن سؤال طرحه : ويظهـر مـن الإجـابـة التفـرقـة بين « الرَّحمن » ، والرَّحيم » . « . . لما قال « الرَّحْمَن » فتناول جلائل النعم ، وعظائمها ، وأصولها ، أردفَه « الرَّحيم » كالفتحة ، والرديف ؛ ليتناول ما دَقَ فيها ، وتطُفَ » . **ومن ذلك نفهم :** أن معنى « الرَّحمْنَ » : المنعم بعظائم النعم ، وجلائلها . . . وأن معنى « الرَّحيم » : المنعم بدقائق النعم ، والخفى منها . . .
الرَّس	﴿ كَذَّبَت قَبلَهُم قَومُ نُوحٍ وأَصحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴾ من الآيـة ١٢ من سـورة ق .	يقول الكرمانى فى العجائب : اللفظ عجمى ، ومعناه : البئر . وفى المختـار ، مادة (ر س س) : « والرسُّ - أيضا - : البئر المطوبة بالحجارة ، والرس : - أيضـا - اسم بئر ، كانت لبقية ثمود » .

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
		والزمخشرى فى أساس البلاغة ، مادة (ر س س) يقول : ووقع فى الرَّس : فى البئر ، التى لم تطو . ويخالف صاحب المختار فى طىّ البئر . ويعزز صاحب القاموس المحيط فى مادة (الرس) ما قاله صاحب مختار الصحاح ، فيقول : « الرَّسّ : ابتداء الشىء ، ومنه رَسّ الحمى ، ورَسيسُها ، والبئر المطوية بالحجارة ، وبئر كانت لبقية من ثمود ، كذبوا بينهم ، ورسوه فى بئر » .
الرَّقيم	﴿ أم حَسِبتَ أنَّ أَصحَابَ الكَهف والرَّقِيم كَانُواْ من آيَاتنَا عَجَبًا ﴾ الآية ٩ من سورة الكهف .	قيل : إنه اللوح **بالرومية** ، وقيل : هو الكتاب ، **بالرومية** . وقيل : الدواة **بالرومية** . وجاء فى المختار ، مادة (ر ق م) « . . والرقيم : الكتاب ، وقوله تعالى ﴿ أنَّ أصْحَاب الكهف، والرَّقيم . . ﴾ . قيل : هو لوح ، فيه أسماؤهم ، وقصصهم . وعن ابن عباس ﷺ : ما أدْرِى ما الرَّقيم : أكتاب ، أم بنيَان ؟ » .
رَمزًا	﴿ قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّام إلاَّ	نقل السيوطى عن ابن الجوزىّ ، فى فنون الأفنان : أنه من **المعرب** .

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
	رَمزًا . . ﴾ من الآية ٤١ من سورة آل عمران .	وقال الواسطى : هو تحريك الشفتين **بالعبرية** . (١/ ٢٣٦) الإتقان . . . وجاء فى المختار ، مادة (ر م ز) : « الرمز : الإشارة ، والإيماء بالشفتين ، والحاجب ، وبابه ضَرَبَ ، ونَصَرَ » .
رَهْوًا	﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهوًا إِنَّهُم جُندٌ مُّغرَقُونَ ﴾ الآية ٢٤ من سورة الدخان .	رهوًا : سهلا ، دمثا ، لغة **نبطية** ، أو ساكنا : **بالسريانية** . وفى أساس البلاغة ، مادة (ر هـ و) : واترك البحر رهوًا : ساكنا ، كما هو ، وعين راه : ساكن ، وقيل : جَوْبَةٌ بين ماءين قائمين . والرَّهْو : ما اطمأن من الأرض ، وارتفع ما حوله . . . »
الرُّوم	﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ فِى أَدنَى الأَرضِ ﴾ الآية ٢ من سورة الرُّوم .	يقول الجواليقى : إنه أعجمى ، اسم لهذا الجيل من الناس . وفى المختار ، مادة (روم) « الروم : جيل من ولد الروم بن عيصو ، يقال : رومىّ ، ورُوم ، مثل : زَنجىّ ، وزَنْج »
زَنْجَبِيل	﴿ وَيُسقَونَ فِيهَا كَأسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ﴾ الآية ١٧ منسورة الإنسان .	قال الجواليقى : إن اللفظ **فارسى** ، معرب ، وقال الثعالبى مثل ذلك . وفى القاموس المحيط ، مادة (الزنجبيل) : « الزَّنجبيل : الخمر . . »

اللفظ	الآية ، والسورة ٠	اللفظ ، والمعنى ٠ ٠ ٠
		ويقول جار الله الزمخشرى فى كشافه (٤/ ٦٧٢) تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه ، أو يخلق الله طعمه فيها ٠
السجلّ	﴿ يَومَ نَطوى السَّمَآءَ كَطَىِّ السِّجِلِّ لِلكُتُبِ ﴾ من الآية ١٠٤ من سورة الأنبياء ٠	عن ابن عباس ﷺ أنه قال : السجل : الرجل ، بلغة أهل **الحبشة** ٠ وفى المحتسب لابن جنى : السجل : الكتاب ، **فارسىّ** ، معرب ٠ وفى المختار مادة (س ج ل) « والسجلّ : الصّك ، وقد سجل الحاكم تسجيلا » ٠ وفى أساس البلاغة ، مادة (س ج ل) : « وكتب عليهم سجلا ، وعليهم سجلات ، وسجَل عليهم ، وكتاب مسجّل » ٠
سجّيل	﴿ تَرميهم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ الآية ٤ من سورة الفيل ٠	عن مجاهد أنه قال : سجل **بالفارسية** : أولها حجارة ، وآخرها طين ٠ وفى المختار ، مادة (س ج ل): « وقوله تعالى : حجارة من سجيل » ٠ قالوا : هى حجارة من طين ، طبخت بنار جهنم ، مكتوب فيها أسماء القوم ، لقوله تعالى فى آية أخرى ﴿ لنرسل عليهم حجارة من طين ٠ ٠ ﴾ ٠
سجّين	﴿ كَلآَّ إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ	يقول السيوطى : ذكر أبو حاتم فى

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
	لَفِى سِجِّين وَمَآ أَدرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ الآيتان ٧ ، ٨ من سورة المطففين .	كتاب الزينة : أنه غير عربى . وفى المختار الصحاح ، مادة (س ج ن) « وسجِّين : موضع فيه كتاب الفجار » . وقال ابن عباس ﷺ : هو واد فى جهنم . قال أبو عبيدة : هو فِعِّيل » من السّجن » .
سُرادِق	﴿ إِنَّآ أَعتَدنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِم سُرَادِقُهَا . . ﴾ من الآية ٢٩ من سورة الكهف .	قال الجواليقى : **فارسىّ** ، معرّب ، وأصله : سُرَادر ، وهو : الدّهليز . وقال غيره : الصواب : أنه بالفارسية : سرايرده ، أى : ستر الدار . وفى المختار ، مادة (س ر د ق) : « السرادق : واحد السرادقات ، التى تمد فوق صحن الدار ، وكل بيت من كرسف ، أى : قطن ، فهو سرادق ، يقال : بيت مُسَردَق » .
سَرِىّ	﴿ فَنَادَاهَا مِن تَحتِهَآ أَلاَّ تَحزَنِى قَد جَعَلَ رَبُّكِ تَحتَكِ سَرِيًّا ﴾ الآية ٢٤ من سورة مريم .	عن مجاهد ، فى قوله تعالى : ﴿ سَرِيًّا ﴾ قال : نهرًا ، **بالسريانية** . وعن سعيد بن جبير - **بالنبطية** ، وعن شيدلة **باليونانية** . فى المصباح المنير ، مادة (س ر ى) : « وسَرِىّ المال ، خيَاره ، وسَرَاتُه مثله ، وسَرَاة الطريق ، وسطه ، ومعظمه » .

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
		وفى الكشاف لجار الله (٣/ ١٢, ١٣) « سئل النبى ﷺ عن السّرىّ ، فقال : هو الجدول ، قال لبيد : فتوسَّطَا عُرْضَ السَّرِىِّ ، فَصَدَّعَا مسجُورةً ، متجاوراً قُلاَّمُهَا
سَفَرة	﴿ بِأَيدِى سَفَرَة ﴾ الآية ١٥ من سورة عبس .	عن ابن عباس قال فى قوله تعالى : ﴿ بأيدى سفرة ﴾ قال **بالنبطية** القراء . وفى مختار الصحاح ، مادة (س ف ر) : « والسفرة : الكتبة ، قال الله تعالى : ﴿ بِأَيْدِى سَفَرَة ﴾ قال الأخفش : واحدهم : سافر ، مثل : كافر ، وكفرة ، والسِّفْر - بالكسر - الكتاب - ، والجمع : أسفار ، قال الله تعالى ﴿ كَمَثَلِ الحمارِ يحْملُ أَسْفَارًا ﴾ .
سَقَر	﴿ سأُصليه سَقَرَ وَمَآ أدرَاكَ مَا سَقَرُ ﴾ الآتيان ٢٦ ، ٢٧ من سورة المدثر .	ذكر الجواليقى أن اللفظ **عجمى** . وجاء فى مختار الصحاح ، مادة (س ق ر) : « سقَر » : اسم من أسماء النار .
سُجَّدا	﴿ وَادخُلُواْ البَابَ سُجَّدًا . . ﴾ من الآية ٥٨ من سورة البقرة .	قال الواسطى فى قوله تعالى : ﴿ وادخلوا الباب سجَّدًا ﴾ أى : مقنعى الرءوس **بالسريانية** . وفى المصباح المنير ، مادة (س ج د) « سجد سجودًا : تطامن ، وكل شىء

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
		زل ، فقد سجد . . . وسجد البعير : خفض رأسه عند ركوبه ، وسجد الرجل : وضع جبهته بالأرض ، والسجود لله تعالى - فى الشرع - عبارة عن هيئة مخصوصة » .
سكَرًا	﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ من الآية ٦٧ من سورة النحل .	روى عن ابن عباس أن « السكر » : الخل - بلغة أهل **الحبشة** - وفى المصباح المنير ، مادة (س ك ر) « . . والسكَر - بفتحتين - : يقال : هو عصير الرطب ، إذا اشتد » وفى المختار ، مادة (س ك ر) « والسكَر - بفتحتين - : نبيذ التمر ، وفى التنزيل ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا ﴾ .
سَلْسَبِيل	﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً ﴾ الآية ١٨ من سورة الإنسان .	حكى الجواليقى ،أنه كلمة «سلسبيل » كلمة **أعجمية** . وفى القاموس المحيط ، مادة (السلسبيل) : اللين ، الذى لا خشونة فيه ، والخمر ، وعين فى الجنة .
سَنَا	﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ ﴾ من الآية ٤٣ من سورة النور .	يقول السيوطى : عده الحافظ بن حجر فى نظمه ، ولم أقف عليه لغيره (١/ ٢٣٦) الإتقان . . ، والجواليقى فى معربه يقول : سناه : فى كلام الحبش : الحسن .

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
		وفى المختـــار ، مادة (س ن ا) : « السنا - مقصور - : ضوء البرق ، والسنا - أيضا - نبت يتداوى به ، والسنا : من الرفعة ممدود .
سُنْدُس	﴿ عَالِيَهُم ثِيَابُ سُندُسٍ خُضرٌ . . ﴾ من الآية ٢١ من سورة الإنسان .	قال الجواليقى : إنه رقيق الديباج **بالفارسية** . وقـال الليث : لم يختلف أهل العربيــة ، والمفسرون فى أنه معرب . وقال شيدله : هو **بالهندية** . وفى القـاموس ، مـادة (السندس : « السُّنْدُس - بالضم - ضرب من البزيـون ، أو ضرب من رقيق الديباج ، معرب بلا خلاف » .
سَيِّدهَا	﴿ وَأَلفَيَـا سَيِّدَهَا لَدَا البَابِ . . ﴾ من الآية ٢٥ من سورة يوسف .	قـال الواسـطى فى قولـه تعـالى : ﴿ وَأَلفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا البَابِ ﴾ أي : زوجها ، بلسان **القبط** . قال أبو عمرو : لا أعرفها فى لغة العَرَب .
سِينين	﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيتُونِ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ الآيتان ١ ، ٢ من سورة التين .	عن عكرمة أن « سينين » الحُسْن - بلغة **الحبشة** - . وقال القرطبى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وطُور سينين ﴾ روى ابن أبى نجيح عن مجاهد : طور : جبل « سينين »

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
		قال مبارك **بالسريانية** ، وعن عكرمة عن ابن عباس قال : « طور » جبل ، و« سينين » حسن . وقال قتادة : هو المبارك الحسن . . . وقال مقاتل ، والكلبى : « سينين » : كل جبل فيه شجر مثمر ، فهو سينين ، وسيناء - بلغة **النبط** . (تفسير القرطبى ، ٧٢٠٢/٨) الجامع لأحكام القرآن .
سَيْنَاء	﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ ﴾ الآية ٢٠ من سورة المؤمنون .	عن الضحاك أنه قال : سيناء - **بالنبطية** : الحسن . وفى المختار ، مادة (س ى ن) « طور سيناء » جبل بالشام . وهو « طور » أضيف إلى « سيناء » وهى : شجر . وكذا « طور سينين » قال الأخفش : « سينين » شجر ، واحدتها : « سنينة » قال : وقرىء « طور سيناء » . و « سَيناء » - بالفتح ، والكسر - والفتح أجود فى النحو . وقال أبو على : إنما لم يصرف ؛ لأنه جعل اسما للبقعة » .
شَطْر	فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ	عن رفيع فى قوله تعالى : « شطر المسجد » : تلقاءه ، بلسان **الحبش** .

اللغة ، والمعنى . . .	اللغة ، والمعنى .	اللفظ
وفى المختـــار ، مادة (ش ط ر) : « شطر الشىء : نصفـه ، وجمعه أشطر ، وشاطره ما له : إذا ناصفه ، وقصد شطره ، أي : نحوه . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ .	الحَرَامِ . . ﴾ من الآية ١٤٤ من سورة البقرة .	
قال الجواليقى : ذكر بعض أهل اللغة أنها **بالسريانية** . وفى المختار ، مادة (ش هـ ر) : الشهر : واحد الشهور ، وأشهرنا : أتى علينا شهر . قال ابن السكيت : أشهرنا فى هذا المكان : أقمنا فيه شهراً . وقال ثعلب : أشهرنا : دخلنا فى الشهر :	﴿ لَيلَةُ القَدرِ خَيرٌ مِّن أَلفِ شَهرٍ ﴾ الآيَة ٣ من سورة القدر .	شَهْر
الصراط : الطريق ، بلغة **الروم** . وفى المختار، مادة (ص ر ط): «الصراط والسراط ، والزراط » : الطريق . وفى القـــاموس المحيـــط ، مـــادة (الصراط) : « الصراط - بالكسر - : الطريق ، وجسر ممدود ، على متن جهنم ، منعوت فى الحديث الصحيح ، وبالضم : السيف الطويل ، والسين لغة فى الكل » .	﴿ اهدنَـا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ﴾ الآيَة ٦ من سورة الفاتحة .	الصِّراط

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللفظ ، والمعنى ...
صُرْهُنَّ	﴿ قَالَ : فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ .. ﴾ من الآية ٢٦٠ من سورة البقرة .	عن ابن عباس ﷺ : « فصرهن : فشققهن ، **نبطية** . وعن وهب بن منبه : فصرهن : قطعهن : **رومية** . وقال القرطبى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ :معناه : قطعهن ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وأبو عبيدة ، وابن الأنبارىّ . يقال : صَارَ الشىءَ يَصُورُه ، أى قطعه ، وعن أبى الأسود الرؤلى : هو **بالسريانية** : التقطيع . وقال الضحاك ، وعكرمة ، وابن عباس فى بعض ما روى عنه : إنها لفظة **بالنبطية** ، ومعناه : قطعهن ، وقيل المعنى : أَمِلْهُنَّ إليك ، أى : اضممهنَّ ، واجمعهنّ إليك .. » . (٢/٩٠٢٢) الجامع لأحكام القرآن ...
صَلَوَات	﴿ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَت صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسمُ اللهِ كَثِيرًا .. ﴾ من الآية ٤٠ من سورة الحج .	يقول الجواليقى : صلوات - **بالعبرانية** - : كنائس اليهود ، وأصلها : صلوتا . وفى أساس البلاغة مادة (ص ل ى) : « .. واجتمعت اليهود (لعنت) فى صلاتهم ، وصلواتهم ، وهى : كنسائهم ، وبيع ، وصلوات » .

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
طَه	﴿ طه وآ أنزلنا علَيكَ القُرآنَ لتَشقَى ﴾ الآيتان ٢،١ من سورة طه .	عن ابن عباس ﷺ : طه : هو كقولك : يا محمد بلسان **الحبش** ، وروى عنه - أيضا - أن الكلمة **نبطية** . وعن سعيد بن جبير « طه » : يا رجُلُ - بلسان **الحبشة** . ويفسر الزمخشري « طه » في كشافه بما خلاصته (٣/ ٤٩، ٥٠) : طه : أمر بالوطء ، أي : للأرض ، وأن النبي الأمين كان يقوم الليل على إحدى رجليه ، فأمر بأن يطأ الأرض بقدميه معا . **والأصـــل** : طأ ، فقلبت همزتــه هـــاء . . . ثم بنى عليه الأمر ، والهاء للسكت ، ويقول - والله أعلم بصحة ما يقال - إن طاها : في لغة « عك » في معنى يا رجل . **ويقول** : ولعل عكًا تصرفوا في « يا هذا » كأنهم في لغتهم قالبون الياء طاء ، فقالوا في « يا » « طا » ، واختصروا هذا ، فاقتصروا على ها . . . » .
الطَّاغُوت	﴿ . . . فَمَن يكفُر بالطَّاغُوت ويُؤمن بالله فَقَد استَمسَكَ بالعُروَة الوُثقَى لاَ انفصَامَ لَهَا . . . ﴾ من الآيـــة ٢٥٦ من	الطـاغوت : هو الكاهن ، بلغة **الحبشة** . وفي مختار الصحاح ،مادة (ط غ ا) : والطاغوت : الكاهن ، والشيطان ، وكل رأس في الضلال .

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
	سورة البقرة .	يكون واحدًا ، كقوله تعالى : ﴿ يريدُون أن يتحاكمُوا إلى الطاغوت ، وقد أمروا أن يكفروا به ﴾ ويكون جمعا ، كقوله تعالى ﴿ أوَليَاؤهُم الطاغُوت ، يخْرجُونَهم . . ﴾ . والجمع : « الطواغيت » .
طَفِقَا	﴿ وَطَفِقَا يَخصفَان عَلَيهمَا مِن وَرَقِ الجَنَّةِ . . ﴾ من الآية ٢٢ من سورة الأعراف .	طفقا : قصدا ، باللغة **الرومية** . وفى المختار ، مادة (ط ف ق) : « طفق يفعل كذا » أى : جعل يفعل ، وبابه « طَرِب » . ومنه قوله تعالى ﴿ وطفقا يخصفان عليهما ﴾ ، وبعضهم يقول : من باب « جَلَس » .
طُوبَى	﴿ الَّذينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَات طُوبَى لَهُم وَحُسنُ مَئَابٍ ﴾ من الآية ٢٩ من سورة الرعد .	طوبى : اسم للجنة بلغة **الحبشة** . وطوبى : اسم للجنة بلغة **الهند** . وفى المختار ، مادة (ط ى ب) : « وطوبى » : فُعْلَى من الطيب : قلبوا الياء واوا ؛ لضمة ما قبلها . . . وطُوبَى : اسم شجرة فى الجنة .
طُور	﴿ وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسطُورٍ ﴾ الآيتان ١ ، ٢ من سورة الطور .	الطور : الجبل ، لغة **سريانية**، الطور : الجبل : لغة **نبطية** . وفى المختار ، مادة (ط و ر) : « والطور : الجبل » .

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
طُوًى	﴿ إِنِّي أَنَاْ رَبُّكَ فَاخلَع نَعلَيكَ إِنَّكَ بِالوَادِ المُقَدَّسِ طُوًى ﴾ الآية ١٢ من سورة طه .	قالو : إن اللفظ معرب ، ومعناه : الليل ، وقيل : هو رجل **بالعبرانية** . وفى المختـار ، مـادة (ط و ى) : « وطُوَى - بضم الطاء ، وكسرها - اسم موضع بالشام ، يصرف ، ولا يصرف : فمن صرفه جعله اسم واد ، ومكان ، وجعله نكرة ، ومن لم يصرفه جعله بلدة ، وبقعة ، وجعله معرفة ، وقال بعضهم : « طوى » هو الشىء المُثَنَّى وقال فى قوله تعالى : « المقدس طوى » طُوىً : مرتين ، أى : قدس مرتين . وقال الحسن : ثُنِيتْ فيه البركة ، والتقديس مرتين . « وذُو طُوًى » - بالضم - : موضع بمكة ، والطَّوِية : الضمير » .
عَبَّدْتَ	﴿ وَتِلكَ نِعمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَن عَبَّدتَّ بَنِى إِسرَاءِيلَ ﴾ الآية ٢٢ من سورة الشعراء .	معنى « عَبَّدْت » : قتلت ، بلغة بنى **إسرائيل** . وفى المصباح المنير ، مادة (ع ب د) : « واستعبده ، وعبَّده - بالتثقيل - : اتخذه عبدًا » .
عَدْن	﴿ جَزَآؤُهُم عِندَ رَبِّهِم جَنَّاتُ عَدنٍ تَجرِى مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ . . ﴾ من	عن ابن عباس ﷺ أنه سأل كعبا عن قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴾ قال : جنات الكروم ، وأعناب ، **بالسريانية** .

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
	الآية ٨ من سورة البينة .	وقيل : إن اللفظ **بالرومية** . وفى المختار ، مادة (ع د ن) : عدنت بالبلد :توطنته ، وبابه « ضرب » وعدنت الإبل بمكان كذا : لزمته ، فلم تبرح ، ومنـــه « جنَّـاتُ عَدْن » أى : « جنات إقامة » .
الْعَرِم	﴿ فَأَعرَضُواْ فَأَرسَلنَا عَلَيهِم سَيلَ العَرِمِ . . ﴾ من الآية ١٦ من سورة سبأ .	عن مجاهد قال : « العرِم » **بالحبشة** ، هى : المسناة ، التى تجمع فيها الماء ، ثم ينبثق . وفى المختـــار ، مـــادة (ع ر م) : « العرم : « المُسْناة ، لا واحد لها من لفظها ، وقيل : واحدها : عرمة ، قلت ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَرسَلنَا عَلَيهِم سَيلَ العَرِمِ . . ﴾ - فى أحد الأقوال - . وفى التهذيب : قيل : العرم : السيل الذى لا يطاق . وقيل : هو جمع عَرِمة ، وهى : السكر ، والمُسَنَّـاة ، وقيل : هو اسم واد ، وقيل : هو اسم الجُرَذ ، الذى بَثَقَ السكر عليهم . وقيل : هو المطر الشديد ، والعُرَمَة - بفتحتين - : الكُدْس ، الذى جمع بعد ما ديس ، ليذرى و « العرمرم » : الجيش الكثير » .

اللغة ، والمعنى ٠٠٠	الآية ، والسورة ٠	اللفظ
الغَسَّـــاق : البادر ، المنتن ، بلغة **الترك** ٠ والغسَّاق : المتن **بالطحاوية** ٠ وفى المختـــار ، مادة (غ س ق) : « والغساق : البارد ، المنتن : يخفف ، ويشدد ، وقرئ بهما قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ ٠	﴿ إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ الآية ٢٥ من سورة النبأ ٠	غَسَّاقًا
غِيض : نقص ، لغة **حبشية** ٠ وفى المختار ، مادة (غ ى ض) : غاض المـــاء : قل ، ونضب ، وبابـــه « بَاعَ » ، وانغاض مثله ٠ وغِيضَ الماء : فُعِل به ذلك ٠	﴿ وَغِيضَ الْمَآءُ وَقُضِىَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِىِّ ٠٠ ﴾ من الآية ٤٤ من سورة هود ٠	غِيضَ
الفردوس : بستان ، باللغة **الرومية** ٠ والفردوس : الكرم ، باللغة النبطية ، وأصله : فرداسا ٠ وفى المختار ، مادة (ف ر د س) : الفردوس : البستان ، قال الفراء ، هو عربى ، والفردوس - أيضا - حديقة فى الجنة ، وفردوس : اسم روضة ، دون اليمامة ، والفراديس: موضع بالشام » ٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾ الآية ١٠٧ من سورة الكهف ٠	فِرْدَوْس
الفوم : الحنطة ، باللغة **العبرية** ٠ وفى مختـار الصحـــاح ، مادة (ف و م) : الفوم : الثوم ٠	﴿ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَـــا وَعَدَسِهَـــا	فُوم

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
	وبَصَلِهَا . . ﴾ من الآية ٦١ من سورة البقرة .	وفى قراءة عبد الله ، وثومها ، وقيل : الفوم : الحنطة ، وقيل : الحمص : **لغة شامية** ، وفَوِّموا لنا ، أى : اختبزوا . وقال الفراء : هى لغة قديمة ، والفيّوم : من أرض مصر ، قتل بها مروان بن محمد ، آخر ملوك بنى أمية » .
قراطِس	﴿ تَجعلُونَه قراطيسَ ، تُبدُونَهَـــا ، وتُخْفُونَ كثِيرًا . . ﴾ من الآية ١١ من سورة الأنعام .	قال الجواليقى : يقال : إن القرطاس أصله غير عربّى . وفى مختار الصحاح ، مادة (ق ر ط س) : « القرطاس » - بكر القاف - وضمها : الذى يكتب فيه ،والْقَرْطَسْ - بوزن المذهب - مثله ، ويسمى الغرض قرطاسا ، يقال : رمى فقرطس ، أى : أصاب » . والكلمة : **يونانية** .
قِسْط	﴿ وأَقِيمواْ الوزَنَ بالقسط ولاَ تُخسرُواْ الميزَانَ ﴾ الآيَة ٩ من سورة الرحمن .	القسط : العدل ، لغة **رومية** . وفى المختار ، مادة (ق س ط) القسط : الجور ، والعدول عن الحق ، وبابه « جلَس » . ومنه قوله تعالى : ﴿ وأمَّا الْقَاسطُون فكانُوا لجهنم حَطَبًا ﴾ . والقسط - بالكسر - : العدل ، تقول منه : أَقْسَطَ الرَّجُلُ ، فهو مُقْسِط ،

اللفظ	الآية ، والسورة	اللغة ، والمعنى . . .
		ومنه قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ يُحبُّ المُقْسِطين ﴾ . **يريد** : (إن زيادة الهمزة للسلب ، أى : سلب الجور ، وإذا سلب الجور كان العدل) . والقِسْط - أيضا - الحصة ، والنصيب ، يقال: « تَقَسَّطْنَا الشىءَ بيننا »
قُسطَاس	﴿ وَزِنُواْ بِالقسطَاسِ المُستَقِيم ﴾ الآيَة ١٨٢ من سورة الشعراء .	القسطاس : العدل - لغة **روميّة** . . . القسطاس : الميزان - لغة **روميّة** . . . وفى المختار ، مادة (ق س ط س) : « القُسطاس - بضم القاف، وكسرها - : الميزانَ .
قَسْوَرة	﴿ كأَنَّهُم حُمرٌ مُسْتَنْفرة ، فرَّت من قَسْوَرَة ﴾ الآيتان ٥٠ ، ٥١ من سورة المدثر .	عن ابن عباس ﷺ قال : الأسد : يقال له **بالحبشية** قَسْوَرَة . وفى المختـــار ، مادة (ق س ر) : « قَسَره علَى الأمر : أكرههُ عليه ، وقهره ، وبابه « ضرب » . وكذا « اقتسره عليه » والقسور ، والقورة : الأسد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فرَّت من قَسْوَرَة ﴾ وقيل : هم الرُّمَاة من الصَّيَّادين .
قِطَّنَا	﴿ وَقَالُواْ : رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبلَ يَومِ الحِسَابِ ﴾	قطنا : كتابنا ، لغة **نبطية** . وفى المختـــار ، مادة (ق ط ط) :

اللفظ	الآية ، والسورة ٠	اللغة ، والمعنى ٠٠٠
	الآية ١٦ من سورة ص ٠	« ٠٠ والقط : الكتاب ، والصك ، بالجائزة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ عَجِّل لنا قِطَّنَا ٠٠ ﴾ ٠
قُفْل	﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرونَ القُرآنَ أَم عَلَى قُلُوبٍ أَقفَالُهَآ ﴾ الآية ٢٤ من سورة محمد ٠	حكى الجواليقى : أن اللفظ **فارس** معرب ٠ وفى مختـار الصحاح ، مادة (ق ف ل) : القُفل معروف ٠ والقفول : الرجوع من السفر ، وبابه « دخل » ومنه القافلة ، وهى : الرفقة الراجعة من السفر ٠ وأقفل الباب ، وقَفَّل الأبواب تَقْفيلاً ، مثل « أغلق ، وغلَّق » ، والقيفَال : عرق فى اليد يفصد ، وهو معرب ٠
قُمَّل	فَأَرسَلنَا عَلَيهِمُ الطُّوفَانَ وَالجَرَادَ وَالقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ٠٠ ﴾ من الآية ١٣٣ من سورة الأعراف ٠	قال الواسطى ه الدّبا ، بلسان **العبرية** ، **والسوريانية** ٠ قال أبو عمرو : لا أعرفه فى لغة أحد من العرب ، إنه **فارسى** ، معرب ٠ وفى المختار ، مادة (ق م ل) : « القمل معروف ، الواحدة قملة ، وقَمِل رأسْه ، من باب طرب ٠ والقمل : دويبة من جنس القِرْدان ، إلا أنها أصغر منها ، تركب البعير عند الهزال ٠

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
قِنْطَار	﴿ وَمِن أَهلِ الكِتَاب مَن إن تَأمَنهُ بِقنطَـار يُؤَدِّه إلَيكَ . . ﴾ من الآية ٧٥ من سورة آل عمران .	قال الثعالبى فى فقه اللغة : إنه **بالرومية** أثنا عشر ألف أوقية . وقال الخليل : زعموا أنه **بالسريانية** ملء ، جلد ثور ذهبًا ، أو فضة . وقال بعضهم : إنه بلغة **بربر** ألف مثقال . وقال ابن قتيبة : قيل : إنه ثمانية آلاف مثقال ، بلسان أهل **إفريقية** . وفى مختـار الصحاح ، مادة (ق ط ر) : « والقنطار : معيار ، قيل : هو ألف ، ومائتان أوقيَّة ، وقيل : مائة وعشرون رطلا ، وقيل : ملء مَسْك ثور ذهبا ، وقيل : غير ذلك ، والله أعلم ، ومنه قولهم : قناطير مقنطرة .
القَيُّوم	﴿ اللهُ لآ إلَه إلاَّ هُوَ الحَىُّ القَيُّومُ . . ﴾ من الآية ٢٥٥ من سورة البقرة .	قال الواسطى : هو الذى لا ينام **بالسريانية** . وفى لسان العرب ، مادة (القوم) : والقيوم ، والقيام : الذى لاندَّ له من أسمائه (عز وجل) .
كَافُور	﴿ إنَّ الأَبرَارَ يَشربُونَ من كَأسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً ﴾ الآية ٥ من سورة الإنسـان .	ذكر الجواليقى ، وغيره أنه **فارسى** معرب . وفى مختـار الصحاح ، مادة (ك ف ر) : « والكافور : الطلع ، وقيل : وعاء

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
		الطلع ، وكذا الكُفُرَّى - بضم الكاف ، وتشديد الراء . والكافور : من الطيب » .
كفِّر	﴿ . . رَبَّنَآ فَاغفر لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّر عَنَّا سَيِّئَاتنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبرَارِ ﴾ من الآيــة ١٩٣ من ســورة آل عمران .	كفّر : امه ، لغة **نبطية** . وكفر : امح ، لغة **عبرانية** . وجاء فى أساس البلاغة ، مادة (ك ف ر) « . . وفى الحديث : لا تكفر أهل قبلتك . يقال : أكفره ، وكفره : نسبه إلى الكفر ،وكفَّر الله عنك خطاياك » (أى : سترها ، ومحاها . . » .
كِفْلَيْن	﴿ . . يُؤتكُم كفلَين من رَّحمَته . . ﴾ من الآيَة ٢٨ من سورة الحديد .	كفلين : ضعفين : لغة **حبشية** . وفى مختار الصحـــاح ، مادة (ك ف ل) : « الكفل : الضعف ، قال الله تعالى ﴿ يُؤتكُم كفلَين من رَّحمَته ﴾ . **وقيل** : إنه النصيب ، وذو الكفل : اسم نبى من الأنبياء (عليهم الصلاة ، والسلام) وهو من الكفالة . . » .
كَنْز	﴿ وَأَمَّا الجدَارُ فَكَانَ لغُلَامَين يَتيمَين فِى المَدينَة وَكَانَ تَحتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا . . ﴾ من الآية ٨٢ من سورة الكهف .	قال الجواليقى : إنه فارسى معرب ، وفى مختار الصحاح ، مادة (ك ن ز) « الكنز : المال المدفون ، وقد كنزه من باب « ضرب » .

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
		وفى الحديث : « كل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز » . واكتنز الشىء : اجتمع ، وامتلأ .
كوّرت	﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ الآية الأولى من سورة التكوير .	كورت : غورت ، لغة **فارسية** . فى أساس البلاغة ، مادة (ك و ر) : « كار العمامة ، وكورها ، وهذه العمامة عشـرة أكوار ، وعشـرون كَوْرًا ، واتخذ الفين كورا ، وكيراً : موقدا للنار ، وزقا للنفخ ، والنحل فى ألكُوَّارة ، وهى : الخلية . وكورت المتاع : وضعت بعضه على بعض . . . » .
لِينَة	﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ . . ﴾ من الآية ٥ من سورة الحشر .	اللينة : هى : النخلة بلسان **يهود يثرب** . وفى مختـار الصحـاح ، مادة (ل و ن) : « . . واللون : الدَّقَل ، وهو : ضرب من النخل . . . قال الأخفش : هو جمع ، واحدته لينة ، ولكن لما انكسر ما قبلها انقلبت الواو ياء . ومنه قوله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ . . ﴾ وتمرهـا سمين ، يسمى العجوة ، وجمعها : لِين » .
مُتَّكَأً	﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ	المتكأ : الترنج ، بلغة **الحبش** .

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
	مُتَّكَئًا . . ﴾ من الآية ٣١ من سورة يوسف .	فى المختار ، مادة (و ك أ) « المتكأ : موضع الاتكاء » . وفسـره الأخفش فى الآيـة بالمجلس . . » .
مَجُوس	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ إِنَّ اللهَ يَفصِلُ بَيْنَهُم يَومَ الْقِيَامَة . . ﴾ من الآية ١٧ من سورة الحج .	ذكر الجواليقى أن لفظ المجوس لفظ **أعجمى** . وفى مختـار الصحاح ، مادة (م ج س) : « المجوسيّة » بالفتح - نحْلَة ، والمجُوسِىّ منسوب إليها ، والجمع : المجوس . وتمجَّس الرجل : صار منهم ، ومجَّسه غيره ، وفى الحديث : « فأبواه يُمَجِّسَانه . . » .
مَرْجَان	﴿ يَخرُجُ منهُمَا اللُّؤلُؤُ وَالْمَرجَانُ ﴾ الآية ٢٢ من سورة الرحمن .	حكى الجواليقى عن بعض أهل اللغة أنه **أعجمى** . وفى مختار الصحاح ،مادة (م ر ج) : « . . والمرجان : صغار اللؤلؤ » . وفى المصباح المنير ، مادة (م ر ج) : « والمَرْجَان ، قال الأزهرى ، وجماعة هو : صغار اللؤلؤ . وقال الطُّرطُوشىّ : هو عروق حمر ، تطلع من البحر كأصابع الكف ، قال : وهكذا شاهدناه بمغارب الأرض كثيرا . وأما النون : فقيل : زائدة ؛ لأنه ليس

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
		فى الكلام « فَعلال » - بالفتح - إلا فى المضاعف ، نحو : الخلخال . وقال الأزهرى : لا أدرى : أثلاثىّ ، أم رُبَاعىّ ؟ »
مِسْك	﴿ ختَامُهُ مسكٌ وَفى ذَلكَ فَليَتَنَا فَسِ المُتَنَافسُونَ ﴾ الآية ٢٦ من سورة المطففين .	قال الثعالبى : إن اللفظ **فارسىّ** . وفى مختـار الصحاح ، مادة (م س ك) « . . والمسك من الطيب ، **فارسىّ** معرّب . وكانت العرب تسميه « المشموم » .
مشكاة	﴿ . . مَثَلُ نُوره كَمشكَاة فيَها مصبَاح . . ﴾ من الآية ٣٥ من سورة النور .	المشكاة : الكوة ، لغة **حبشية** . ويقـول الزمخشـرى فى الكشـاف (٣/ ٢٤١) « . . مشكاة : وهى : الكوة فى الجدار ، غير النافذة » .
مقَاليد	﴿ لَهُ مَقَاليدُ السَّمَاوَات وَالأَرض يَبسُطُ الرِّزقَ لمَن يَشَآءُ وَيَقدرُ . . ﴾ من الآية ١٢ من سورة الشورى .	مقاليد : مفاتيح - **بالفارسية** ، وعزز ما تقدم الجواليقى حيث قال : الإقليد ، والمقليد : المفتاح : **فارسىّ** معرب . وفى مختار الصحاح ، مادة (ق ل د) « والإقليد - بكر الهمزة - المفتاح ، والمِقْلَد - بوزن - المِبْضَع - مفتاح كالمَنجل والجمع : المقاليد » .
مرقُوم	﴿ كِتَابٌ مَّرقُومٌ ﴾ الآية ٢٠ من سورة المطففين .	كتاب مرقوم ، أى : مكتوب باللغة **العبرية** .

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
		وفى المختـار ، مـادة (ر ق م) : « الرقم : الكتابة » قال الله تعـالى : ﴿ كِتَابٌ مَرْقُومٌ . . ﴾ .
مُزْجَاة	﴿ . . مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَـا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَـاةٍ . . ﴾ من الآية ٨٨ من سورة يوسف .	مزجاة : قليلة ، بلسـان **العجم** ، وقيل : مزجاة : قليلة ، بلسان **القبط** . وفى المصباح المنير ، مادة (ز ج ى) : « زجّيته - بالتثقيل - دفعته برفق ، والريح تُزْجى السحاب : تسوقه سوقا ، رفيقا ، رباعى - بالتخفيف ، والتثقيل - للمبالغة . وبضاعة مزجاة : تدفع بها الأيام لقلتهـا ، وأزجيت الأمر : أخرته » . وفى المختـار ، مادة (ز ج ا) : « . . وبضاعة مُزْجَاة : قليلة » .
ملكوت	﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ الآية ٨٣ من سورة يس .	ملكوت : الملك ، وبكلام **النبطية** ملكوتا . وقالوا - أيضا - ملكوت : الملك بلسان **النبط** . وفى مختـار الصحاح ، مادة (م ل ك) : « . . والملكُوت من المُلْك ، كالرَّهَبُوت من الرَّهْبَة . يقال له مَلَكُوت العَرَاق ، وهو المُلْكُ ، والعزّ ، فهو مَلِيكٌ ، ومَلْكٌ ، ومَلِكٌ مثل فَخْذ وفخِذ كان المُلْكَ ، فخفّف من

اللغة ، والمعنى ٠٠٠	الآية ، والسورة ٠	اللفظ
مَلك ، والمُلْكُ مقصورين مَالك ، أو مَلِيكٌ ، والجمعَ المُلوك ، والأَمْلاَك ، والاسم المُلك ، والموضع مَمْلكَة ، وتَملكَّهُ : ملكَهُ قَهْرًا » ٠		
مناص : قرار ، لغة **نبطية** ٠ وفى المختار ، مادة (ن و ص) : النوص : التأخر ، يقال : ناص عن قرْنه ، أى : فَرَّ ، وراغ ، وبابه قال ، ومناصًا - أيضـا - ومنه قوله تعالى : ﴿ ولاَتَ حين مناص ﴾ أى : ليس وقت تأخر ، وفرار ، والمناص - أيضا - الملجأ ، والمفرّ » ٠	﴿ ٠٠ فَنَادَوْا ، ولاَتَ حِينَ مَنَاصٍ ٠٠ ﴾ من الآية ٣٠ من سورة ص ٠	منَاص
المنسأة : العصا ، بلسان **الحبشة** ٠ وجاء فى المختار ، مادة (ن س أ) : « المنسأة - بكسر الميم - : العصا ، تهمز ، وتلين ٠والنسيئَة - كالفعيلة - : التأخير ، وكذا : النَّسَا ، بالمد ٠٠ » ٠	﴿ ٠٠ مَادلَّهُم عَلَى مَوته إلاَّ دَابَّةُ الأَرضِ تَأكُلُ مِنسَأَتَهُ ٠٠ ﴾ من الآية ١٤ من سورة سبأ ٠	منْسأة
السمـاء منقطر به : قال ابن عباس ﷺ : ممتلئة - بلسان **الحبشة** ٠ وفى المختـــار ، مـادة (ف ط ر) : « والفطر : الشق ، يقـال : فطره فانفطر ، وتفَطَّر الشيء : تشقق ٠٠» ٠ وفى القاموس المحيط ،مادة (الفطر) :	﴿ السَّمَآءُ مُنفَطِرٌ به كَانَ وَعدُهُ مَفعُولاً ﴾ الآيَة ١٨ من سورة المُزَّمِّل ٠	مُنْفَطِرٌ

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
		الفطر : الشق ، جمع فطور . . وفطرُه يفطرُه : شقه ، فانفطر ،وتفطر . . » .
مُهْل	﴿ . . وَإِن يَستَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ يَشوِى الوُجُوهَ . . ﴾ من الآية ٢٩ من سورة الكهف .	مُهْل : عكر الزيت ، بلسان أهل **المغرب** . وقال أبو القاسم : بلغة **البربر** . وفى المختـــار ، مـادة (م هـ ل) : « . . وقوله تعالى : ﴿ بماء كالْمُهْل ﴾ قيل : هو النحاس المذاب . وقال أبو عمرو : المهـل : دردى الزيت ، قال : والمهل - أيضا - القيح والصديد ، وفى حديث أبى بكر ﷺ : « ادفنونى فى ثوبىّ هذين ، فإنما هما للمُهْلِ ، والتراب » .
نَاشِئَةَ	﴿ إنَّ نَاشِئَةَ الَّيلِ هِى أَشَدُّ وَطئًا وَأَقوَمُ قِيلاً ﴾ الآية ٦ من سورة المزمِّل .	ناشئة الليل : قيام الليل ، **بالحبشية** . وعزز ذلك ما رواه البيهقى عن ابن عباس ﷺ . وفى مختــار الصحاح ، مادة (ن ش أ) : « . . وناشئـة الليل : أول ساعاته ، وقيل : ما ينشأ فيه من الطاعات » .
ن	﴿ نٓ وَالقَلَمِ وَمَا يَســطُرُونَ ﴾ الآية ١ من سورة القلم .	حكى الكرمانىّ عن الضحاك أنه **فارسىّ** ، أصله « أنون » والمعنى : اصنع ما شئت .

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
		وجاء فى مختار الصحاح ، مادة (ن و ن) : « والنون : حرف من حروف المعجم ، وهو من حروف الزيادات ، وقد يكون للتأكد - مشددا ، ومخففا - . . وتقول : نوَّنت الاسم تنوينًا ، والتنوين لا يكون إلا فى الأسماء » .
هُدْنَا	﴿ وَاكتُب لَنَا فِى هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الأَخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيكَ . . ﴾ من الآية ١٥٦ من سورة الأعراف .	هدنا : تبنا ، **بالعبرانية** . وفى المختار ، مادة (هـ و د) : هاد : تاب ، ورجع إلى الحق ، وبابه قال ، فهو هائد ، وقوم هود . قال أبو عبيدة : التهوّد : التوبة ، والعمل الصالح . . والهُود : - بوزن العود - : اليهود ، وهود : اسم نبى ، ينصرف ، تقول : هذه هود : إذا أردت سورة هود ، فإن جعلت هودا اسم السورة لم تصرفه ، وكذلك نوح ، ولوط . **والتهويد** : المشى الرويد ، مثل الدبيب . وفى الحديث : « أسرعوا المشى فى الجنازة ، ولا تهودوا ، كما تهود ، والنصارى . والتهويد : تصيير الإنسان يهوديا . وفى الحديث :«فأبواهُ يُهوِّدَايِه . .» .

اللغة ، والمعنى …	الآية ، والسورة .	اللفظ
قال الجواليقى : الهود : اليهود – **أعجمى** . وفى المصباح المنير ، مادة (هـ و د) : «هود : اسم نبىّ (عليه السلام) عربى ، ولهذا ينصرف ، وهاد الرجل هودًا : إذا رجع ، فهو هائد ، والجمع : هود ، مثل « بازل ، وبُزْل … ويقال : هم يهوَد – غير منصرف ؛ للعلمية ، ووزن الفعل ويجوز دخول الألف ، واللام ، فيقال : اليهود . **وعلى هذا** : فلا يمنع التنوين ؛ لأنه نقل عن وزن الفعل إلى باب الأسماء» .	﴿ أَم تَقُولُونَ : إِنَّ إِبْرَاهِمَ وَإِسمَاعِيلَ وَإِسحَاقَ وَيَعقُوبَ وَالأَسبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَو نَصَارَى … ﴾ من الآية ١٤٠ من سورة البقرة .	هُود
قالوا فى قوله تعالى : « يمشون على الأرض هونا » حكماء ، **بالسريانية** ، وقيل : باللغة **العبرانية** . وفى مختـــار الصحاح ، مادة (هـ و ن) : « الهون : السكينة ، والوقار ، وفلان يمشى على الأرض هَوْنًا . والهُون – أيضًا : مصدر : هان عليه الشىء يهون ، أى : خف . وهونه الله عليه تهوينا : سهله ، وخففه ، وشىء هيِّنٌ أى : سهل ، وهين – مخفف ، وقوم هينون لينون . والهُونُ – بالضم – : الهوان ، وأهانـه : استخفف به ، والاسم :	﴿ وَعِبَادُ الرَّحمَنِ الَّذِينَ يَمشُـونَ عَلَى الأَرضِ هَونًا … ﴾ من الآية ٦٣ من سورة الفرقان . ﴿ … اليَومَ تُجزَونَ عَذَابَ الهُون … ﴾ من الآية ٩٣ من سورة الأنعام .	هون

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
		الهوان ، والمهانة . يقال : رجل فيه مهانة ، أى : ذل ، وضعف . واستهان به : وتهاون به : استحقره ، ويقال : امش على هينتك ، أى : على رِسْلك . والَهاوَن - بفتح الواو - : الذى يدق فيه - معرب - .
هَيْتَ لَكَ	﴿ . . وَغَلَّقَتِ الأَبْوابَ وَقَالَت : هَيتَ لَكَ . . ﴾ من الآية ٢٣ من سورة يوسف .	« هيت لك : هلم . **بالقبطية** . وقال الحسن : هى **بالسريانية** ، وقال عكرمة : هى **بالحورانية** ، وقال أبو زيد : هى **بالعبرانية** ، وأصله : هينلج ، أي : تَعَالَه » . وفى مختار الصحاح ، مادة (هـ ى ت) : « هيت لك : هلُمَّ » . وهاتِ يا رجل - بكسر التاء - أى : أعطنى ، وللاثنين : هاتيا ، بوزن « آتيا » وللجمع « هاتوا » ، وللمرأة : « هاتى » - بالياء ، وللمرأتين « هاتيا » وللنساء « هاتين » مثل « عاطين » والله أعلم » . **وذلك على لغة :** وفى أساس البلاغة ، مادة (هـ ى ت) : « هَيتَ لك » بمعنى : هَلُمَّ لك ، وهيَّت به : صاح به ، ورجل هَيَّاتٌ .

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللفظ ، والمعنى . . .
	.	قال : يَحْدُو بَها كُلُّ فَتًى هَيَّاتِ .
وَرَآء	﴿ . . نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُتُواْ الكتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِم كَأَنَّهُم لاَ يَعلَمُـونَ ﴾ من الآية ١٠١ من سورة البقرة .	قيل : معناه : أمام ، **بالنبطية** . وقال الجواليقى : إن الكلمة غير عربية . وجاء فى المختـار ، مادة (ورى) : « . . وراء : بمعنى خلف ، وقد يكون بمعنى قدام ، وهو من الأضداد ، وإذا لم تضفه قلت : لقيته من وراء ، فترفعه على الغاية ، كقولك : « من قبل ، ومن بعد » وقوله تعالى : ﴿ وكان وراءهم ملك ﴾ أى : أمامهم . وتقول : ورى الخير تورية ، أى : ستره ، وأظهر غيره ، كأنه مأخوذ من وراء الإنسان ، كأنه يجعله وراءه ، حيث لا يظهر .
وَرْدَةً	﴿ فَإِذَا انشَقَّت السَّمَآءُ فَكَانَت وَردَةً كَالدِّهَانِ ﴾ الآية ٣٧ من سورة الرحمن .	ذكر الجواليقى : أن الكلمة غير عربيـة ، [آرامية] . فى أسـاس البلاغـة مادة (وزد) : « وَرَد الماء وُرُودًا ، وَوِرْدًا . . واستَورد الماء : وَرَدَه . . وخدمورّد ، وتوردّ خداها ، وفرس وأسَد وَرْد ، وقد وَرَد وُرْدةً ، وخيل وارد . . « فكانَتَ وَرْدَةً كالدِّهَان » وليلـةٌ وَرْدَةٌ : حمراء الطرفين ، وذلك فى الجدب ، ورَجع

اللغة ، والمعنى ...	الآية ، والسورة .	اللفظ
موردًا القَذَال : مَصْفُوعًا » . وفى المختار ، مادة (ورد) : « .. والوُرْد : الذى يشم ، الواحدة وَرْدَة ، وبلونه قيل للأسد : وَرْد ، وللفرس وَرْد ، وهو الذى بين الكميت ، والأشقر ، والأنثى وَرْدَة ، والجمع وُرْد - بضم الواو - مثل « جَوْن » وجُون ، ووراد - أيضا - بكر الواو - قلت ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ فَكَانَت وَردَةً ﴾ والوَارِد : الطَريق ، وكذا المَوْرِد » .		
الوزر : الجبل ، والملجأ - **بالنبطية** . وفى مختار الصحاح ، مادة (وزر) : « الوزر : بفتحتين - الملجأ ، وأصله الجبل ، والوزر : الإثم ، والثقل ، والكارة ، والسلاح .. » .	﴿ كَلاَّ لاَ وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَومَئِذٍ المُستَقَرُّ ﴾ الآيتان ١١ ، ١٢ من سورة القيامة .	وزَر
قالوا : إنه **فارسىّ** ، معرب . وفى القاموس المحيط ، مادة (اليَاقُوت) : « اليَاقوت : من الجواهر معرَّب ، أجوده الأحمر الرُّمانىّ ، نافع للوسواس ، والخفقان ، وضعف القلب شربا ، ولجمود الدم تعليقا » .	﴿ كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ وَالمَرجَانُ ﴾ الآية ٥٨ من سورة الرحمن .	ياقوت
يحور : يرجع - بلغة **الحبشة** .	﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾	يْحورَ

اللفظ	الآية ، والسورة ٠	اللغة ، والمعنى ٠٠٠
	الآية ١٤ من سورة الانشقاق ٠	وجاء فى مختار الصحاح ، مادة (ح و ر) : « حار : رجع وبابه قال ، ودخل ، وفلان حَائر ، بائر ، يعنى : هو هَالك ، أو « كَاسِد ٠٠ » ٠
يس	﴿ يس وَالقُرءَانِ الحَكِيمِ ﴾ الآيتان ١ ,٢ من سورة يس ٠	يس : يا إنسان **بالحبشية** ٠ ويس : يا رجل **بالحبشية** ٠ وفى المصباح المنير ، مادة (يس) : « يس ، وتعرب إعراب ما لا ينصرف ، إنه جعلته اسما للسورة ؛ لأن وزن « فَاعيل » ليس من أبنية العرب ، فهو بمنزلة « قَابيل ، وهابيل » ٠ **ويجوز** أن يمتنع للتأنيث ، والعلمية ، وجاز أن يكون مبنيا على الفتح ، لالتقاء الساكنين ، واختير الفتح لخفته كما فى « أيَن ، وكيفَ » وتبنيه على الوقف ، إن أردت الحكاية ٠ ومثله فى التقدير : حَم ، وطَس ٠
يَصَدون	﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابن مُرْيَمَ مَثَلاً إذَا قَومُكَ منهُ يَصدُّونَ ﴾ الآية ٥٧ من سورة الزخرف ٠	يصدون : يضجون ، بلغة **الحبشة** ٠ وفى القاموس المحيط ، مادة (صد) : « صَدَّ عنه صُدُودًا » : أُعْرَض ، وفُلانًا عن كذا صَدًّا : منعه ، وصرفه ، كأَصَدَّ ، وَصَدَّ يَصدُّ صَديدًا : ضج ٠ ودَاري صَدَدَ دَاره ، أى : قُبَالَتَه ، وقربه ، نُصبَ على الظرف » ٠

اللفظ	الآية ، والسورة .	اللغة ، والمعنى . . .
يُصْهَر	﴿ يُصهَرُ به مَا في بُطُونِهِم وَالجُلُودُ ﴾ الآية ٢٠ من سورة الحج .	يصهر : ينضح ، بلسان أهل **المغرب** . ويصهر : ينضج ، بلسان **القبط** . وجاء في مختار الصحاح مادة (ص هـ ر) : « . . وصهر الشيء فانصهر ، أى : أذا به ، فذاب ، وبابه **قطع** ، فهو صَهِير . قلت : ومنه قوله تعالى : ﴿ يُصهَرُ بِهِ مَا فِى بُطُونِهِم ﴾ .
الْيَمّ	﴿ . . فَإِذَا خفت عَلَيه فَأَلقِيه فِى اليَمّ وَلاَ تَخَافِى وَلاَ تَحزَنِى . . ﴾ من الآية ٧ من سورة القصص .	قال ابن قتيبة : اليمّ : البحر ، **بالسريانية** ، وقال ابن الجوزى : **بالعبرانية** . وقال شيدلة : **بالقبطية** . وفى مختار الصحاح ، مادة (ى م م) : « . . واليم : البحر » .
اليَهَود	﴿ وَقَالَت اليَهُودُ لَيسَت النَّصَارَى عَلَى شَىء وَقَالَت النَّصَارَى لَيسَت اليَهُودُ عَلَى شَىء . . ﴾ من الآية ١١٣ من سورة البقرة .	قال الجواليقى : **أعجمى معرب** ، منسوبون إلى يَهُود بن يعقوب ، فعرب بإهمال الدَّال . وقد جاء فى مختار الصحاح ، مادة (هـ و د) : « هَادَ : ثاب ، ورجع . . » . وقد سبق ذلك . ويقول السيوطى (رحمه الله تعالى) :

		« فهذا : ما وقفت عليه من الألفاظ المعربة فى القرآن ، بعد الفحص الشديد سنين ٠ ولم يجتمع قبل فى كتاب قبلى » ٠ (١/ ٢٤٠) الإتقان فى علوم القرآن

ومن النفع العلمى أن تسجل ما ذكره الإمام السيُّوطى بعد ما تقدم حتى نقف على جهود الأئمة العلماء ، وإفادة بعضهم من بعض (رحمهم الله جميعا) ٠

يقول السيوطى :

وقد نظم **القاضى تاج الدين** بن السبكى منهـا سبعة ، وعشرين لفظا ، فى أبيات ٠

وذيل عليها الحافظ ، أبو الفضل بن حجر بأبيات فيها أربعة ، وعشرون لفظا ، **وذيلت عليها بالباقى** ، وهو بضع ، وستون ، فتمت أكثر من مائة لفظة ، **فقال ابن السبكى :**

السلسبيل ، وطه ، كورت ، بيع ... روم ، وطوبى ، وسجيل ، وكافورُ

والزنجبيل ، ومشكاة ، سرادق مع ... استبرق ، صلوات ، سندس ، طورُ

كذا قراطيس ، ربانيهم ، وغسًّا ... ق ، ثم دينار ، القسطاس مشهور

كذاك قسورة ، واليم ، ناشئة ... ويوت كفلين ، مذكور ، ومسطور

له مقاليد ، فردوس يعد كذا ... فيما حكى ابن دريد منه تنُّورُ

وقال ابن حجر :

وزدت حرم ، ومهل ، والسجل كذا ... السرى ، والأبّ ، ثم الجبت مذكور

وقطنا ، وإناه ، ثم متكأ ... دارست ، يصهر منه مصهورُ

وهيت ، والسكر ، والأداه مع حصب   وأوبى معه ، والطاغوت مصهورُ
صرهن ، إصرى ، وغيص الماء مع وزر   ثم الرقيم ، مناص ، والسنا النور

وقلت : (السيوطى) :

وزدت يس ، والرحمن مع ملكو   ت ، ثم سينين ، شطر البيت مشهور
ثم الصراط ، ودرى ، يحور ومر   جان ، اليم ، مع القنطار مذكور
وراعنا ، طفقا ، اهدنا ، ابلعى ، ووراء   الأرائك ، والأكواب مأثور
هود ، وقسط ، وكفر ، زمرة ، سقر   هون ، يصدون ، والمنساة مسطور
شهر ، مجوس ، وأقفال ، يهود حوا   ربون كنز ، وسجين ، وتتبيرُ
بعير ، آزر ، حوب ، وردة عرم   إل ، ومن تحتها ، عبّدت ، والصور
ولينة ، فومها ، رهو ، وأخلد ، مز   جاة ، وسيدها ، القيوم ، موفور
وقمّل ، ثم أسفار ، عنى كتبا   وسجّدًا ، ثم رِبِّيون تكثير
وحطة ، وطوى ، والرس ، نون كذا   عدن ، ومنفطر ، الأسباط مذكور
مسك ، أباريق ، ياقوت رووا فهنا   ما فات من عدد الألفاظ محصور
وبعضهم عد الأولى ، مع بطائنها   والآخرة لمعانى الصند مقصور
{ وما سكوتى عن آن ، وأنية   سينا ، أواب ، والمرقوم تقصير
ولا بأيدى ، وما يتلوه من عبس   لأنها ، مع ما قدمت تكرير }

(١/ ٢٤٠ - الإتقان فى علوم القرآن)

* * *

نتائج
مُسْتَنْبطَة ممَّا تقدَّم

فى ضَوء الدراسة ، المتأنية السابقة للألفاظ الواردة فى الذكر الحكيم من لغات الأمم ، التى عاصرت أمة العرب ، وكان لها بها اتصال ، أىّ اتصال ، لأى سبب من الأسباب ، التى تقتضيها حياة البشر على الكوكب الأرضىّ ، وتلح عليها ضرورات تبادل المنافع ، والخيرات ، وانتقال المعارف ، والحضارات ...

وردت إلى اللغة العربية ألفاظ ، صقلها اللسان العربى ، وملكتها أمة العرب ، واستخدمتها استخدامها للغتها الأصيلة ، وصارت ملكًا للُّغَة ، العربية ... وذلك قبل نزول الذكر الحكيم .

اشتمل الذكر الحكيم على الألفاظ المتقدمة ، التى كانت شائعة منتشرة فى اللغة العربية .

ولعل من السر فى ذلك ما يلى :

١ - ثبوت الإعجاز للقرآن الكريم ، وثبوت أنه من عند الله (عز وجل) الذى من آياته البالغة اخْتلاَف الألسنة ، والألوان ...

فمن أين يتأتى للرســول الأمين الإتيـان بألفاظ هذه الأمم ، ولا عهد له بالرحلة ، أو الانتقال إليها ، وحتى يظهر لكل ذى لُبٍّ أن القرآن الكريم تَنْزِيلٌ مِنْ حكِيم حَميد ؟

٢ - استمالة قلوب هذه الأمم المتباينة ، ذات اللغات المختلفة ، فإذا ألقى السمع قارىء أو سامع لآية كريمة ، فيها لفظة ، أو أكثر من لسان بنى قومه اطمأنت نفسه ، وسكتت ، واستراحت ، وأقبل على القرآن ، كتاب حياة ، وأحْيَاء ، وعلى الإيمان بالله تعالى ، الذى لا يعجزهُ شىء فى الأرض ، ولا فى السماء ، وعلى الرسول العظيم ، الذى أَدَّبه ربُّه ، فأَحْسَنَ تأديبه ، وعلَّمه ما لم يكُنْ يَعَلم ...

هذا هو الأصل ، الذى ينهج نهجه العقلاء ، أما غيرهم فإنه يمرون على الآية البالغة الحكمة من آيات الكون ، وهم عنها معرضون ...

٣ - مادام القرآن الكريم فيه خبر من قبلنا ، ونبأ من بعدنا ، وإخبار بالغيب عن الدار الآخرة ، التى هى الحيوان ...

فلابَّد من أن يشتمل على ألفاظ تعبر عن كل ذلك ، وفيها العظمة لمن يتغط ، والعبرة لمن يعتبر ، والفكرة لمن يتفكر ، والنظرة الصائبة لمن ينظر ببصيرته ، لا ببصره . . .

ومن أجل ذلك وردت الألفاظ التى سجلناها ، والتى نص العلماء على أنها من غير اللغة العربية ، وإن اختلفوا فى بعضهـا بالنسبـة للغتها الأصيلة ، وقد تقدم ذلك . . .

٤ - فى هذا الصدد نذكر اللغات التى جاءت تلك الألفاظ منها ، مع ذكر أكثر من لغة للكلمة الواحدة ؛ لاختلاف العلماء فى بيئتها الأولى .

وفى الحصر الآتى التقريبى ما يشبع نهم المطلع ، ويروى ظمأه . . .

والأمم على الترتيب التنازلى الآتى :

رقم مسلسل	اللغة	عدد الكلمات
١	الحبشية	٢٨ كلمة
٢	النبطية	٢١ كلمة
٣	العبرية	٢٠ كلمة
٤	الفارسية	١٩ كلمة
٥	السريانية	١٧ كلمة
٦	الأعجمية	١٠ كلمات
٧	الرومية	٩ كلمات
٨	القبطية	٨ كلمات
٩	المغرب	٤ كلمات
١٠	الهند	٣ كلمات
١١	البربر	٣ كلمات
١٢	اليهودية	٣ كلمات
١٣	بنو إسرائيل	٢ كلمتان
١٤	الزنجية	٢ كلمتان
١٥	اليونانية	٢ كلمتان
١٦	كنعان	١ كلمة واحدة
١٧	عك	١ كلمة واحدة
١٨	الترك	١ كلمة واحدة
١٩	الطحاوية	١ كلمة واحدة
٢٠	الشامية	١ كلمة واحدة
٢١	الحورانية	١ كلمة واحدة
٢٢	الآرامية	١ كلمة واحدة

بقى علينا بعد ذلك التعليل للغات التى كثر عنها أخذ الكلمات ·

ونسير فيها - بفتح الله تعالى ، وعونه - على النحو التالى ، فتحًا لباب الاجتهاد فى هذا المجال ، فقد يجد الناظر ، المتأمل أسبابًا أُخْرَى ، تثرى البحث ، وتوسع آفاقَهُ ، والله تعالى الرحمن المستعان ·

أولاً:

اللغة الحبشية :

إحدى اللغات الحاميَّة ، نسبة إلى حام بن نوح (عليه الصلاة ، والسلام) ·

واللغة الحامية : من بين اللغات ، ليست من اللغات الراقية ، **فهى** ليست لغة علم ، أو آدب ، وليست لغة رسول نزل عليه كتاب منزل · · ·

ولكن اللغة العربية ، وهى لغة راقية ، بل أسمى اللغات ؛ لأنها لغة الكتاب العزيز ، والرسول الخاتم ، والشريعة ، التى لا تنسخ ، وهى لغة علم ، وأدب ، وتوضع فى المقدمة من اللغات الراقية · · ·

فإذا وفدت إليها ألفاظ من لغة غير راقية ، اكتسبت الرقىّ ، والسموّ بالرحلة ، والانتقال ، وملكية اللغة الراقية للألفاظ الواردة · · · أفادتها الرقى · · ·

ولعلَّ السِّر فى كثرة الكلمات ، التى وفدت من اللغة الحبشية إلى اللغة العربية يرجع إلى ما يلى :

١ - **القرب المكانى** ؛ إذ لا يفصل بلاد الحبشة عن الأمة العربية إلا البحر الأحمر ، وكانوا يعبرونه إلى البلاد العربية · · · على الفلك ·

٢ - **كثرة الوافدين من الحبشة إلى الأمة العربية** ، وبخاصة قريش ، التى كانت تتخذ منهم الخدم ، وتستعملهم فى شتى شئون الحياة · · ·

٣ - **استعمار اليمن فترة** من الزمان ، والمغلوب مولع بتقاليد الغالب ، ولا يغيب عن أذهاننا أبرهة الأشرم ، ومحاولته اليائسة لهدم الكعبة المشرفة ، وصرف الحجج إلى « القليس » ، وإهلاك جيشه بطير أبابيل · · ·

٤ - بلاد الحبشة مسيحية انتشرت بها الديانة المسيحية قبل ظهور الإسلام ·

والديانة المسيحية نشرت فى الحبشة الأمن ، والأطمئنان ، والسلام ، مما جعل الحبشة الصَّدر الحانى ، لرحلة من فَرُّوا بدينهم من إيذاء قريش ، وأشار لهم الرسول الأمين إلى الحبشــة ، وتعليل ذلك : بأن فيها ملكا لا يظلم أحدٌ عنده ، وصدق ذلك : لأن ملكها لم يفرط فى المهاجرين إليه ، ولم يستجب لرغبة قريش ·

٥ – الأخذ ، والعطاء ، وتبادل المنافع بين الحبشة ، وأمة العرب ٠٠٠

كل هذه الأسباب جعلت الكلمات الواردة من اللغة الحبشية أكثر من لغات الأمم الأخرى ،وقد كانت الكلمات ملكا للغة العربية قبل نزول القرآن الكريم ٠٠٠

ثانيا :

النبطيَّة :

ويقول الفيومى ، صاحب المصباح المنير ، فى مادة (ن ب ط) : « النَّبَط جيل من الناس ، كانوا ينزلون **سَوَاد العِرَاق** ، ثم استعمل فى أخلاط الناس ، وعوامِّهم ٠٠ » ٠

ويقـول جـار الله الزمخشرى فى « أسـاس البلاغة » مادة : (ن ب ط) : « وقـال خـالد بن الوليد لعبد المسيح بن بُقَيْلَـة : أَعَرَب أنتم ، أم نَبِيط ؟ فقـال : « عَرَب استَنْبطْنَا ، ونَبِيط استعربْنَا ٠٠ » :

وهذه العبارة إن دلت فإنما تدل على الاختلاط بين اللسان العربى ، واللسان النبطى ٠

ومما تقدم نقول : إن كثرة الألفاظ ، الواردة من النبط إلى اللغة العربية **تعُود فى الأعم** الأغلب إلى الآتى :

١ – القرب المكانى : فنزول النبط سواء العراق ، والاختلاط بعرب العراق ، يحدث آثارا فى اللغة العربية ، وفى اللغة النبطية ٠٠٠

٢ – مَا أجَابَ به عبد المسيح بن بقيلة يدل على اختلاط الجنسين اختلاطا تتداخل فيه اللغات ، وتتبادل الكلمات ، وتتناقل المسميَّات للأسماء ٠

٣ – تبادل المنافع ، وانتقال الخبرات ، وكثرة الأخذ ، والعطاء ٠٠٠

وخلاصة القول :

فإن تبادل الكلمات ، وتصارع الألفاظ ، والبقاء للأصلح ٠٠٠

كل ذلك : يؤدى إلى تبادل الألفاظ ، ويعين عليه القرب ، والاختلاف ، وغير ذلك ٠

ثالثا :

العبرية :

وهى إحدى اللغات السامية ، وهى لغة كتاب منزل ، ورسول مرسل ٠

ولعل الأسباب التى جعلت ألفاظًا عبرية ترد بكثرة على اللغة العربية ،ويشتمل على كثير منها الذكر الحكيم ما يلى :

١ - هى إحد اللغات الساميَّة ، ولها اتصال أىّ اتصال باللغة العربية فى الأصول الأولى ، مع الافتراق الذى يجر إليه الانتقال من بلد إلى آخر ، واختلاف المرئيات ، والمسميات ··· وغير ذلك ·

٢ - سكن اليهود نجران ، وبعض بلاد اليمن ، كمـا كانت قبائلهم حـول يثرب ، المدينة المنورة : قريظة ، قينقاع ، أبناء التضير ، كما استوطنوا كثيرا من البلاد العربية : كخيبر ، وتبوك ·· وغير ذلك ···

ولابد لهذا الاستيطان من تداخل الكلمات ، وانتشار الكلمات ، وهى نتيجة حتمية لذلك ·

٣ - **التوراة** : والتوارة كتاب منزل عن عند الله تعالى على رسوله الكريم : موسى (عليه الصلاة والسلام) ···

وكل كتاب سماوىّ ، منزل على رسول لابد من أن يحدث أثرا فى البشر ، وإن كانت قد امتدت أيد آثمة إلى التوراة ، فغيرت على حَسَب الأهواء ، ونظير ثمن قليل ، حتى محوا اسم الرسول الأمين ، وصفته منها ···

وعلى أى حال : فقد أحدثت التوراة ما أحدثت ، وتسربت كلمات شاعت ، ونزل الذكر الحكيم مشتملا على بعضها ·

٤ - التجارات الواسعة لليهود ، والتعامل بالربا الفاحش ···

٥ - الكتابة كانت فى اليهود ، وكانت قليلة فى الأمة العربية حتى أطلق اليهود على العرب اسم « الأمِّيِّين » وكان العرب يلمون باليهود القارئين عند الحـاجة إلى ذلك ···

هذه العوامل : جعلت كلمات كثيرة متناثرة فى القرآن العظيم من العبرية ·

رابعا :

الفارسية :

ولعلَّ السِّر فى كثرة الكلمات الفارسية يعود إلى الآتى :

١ - الفرس : أمة لها تاريخها ، وأمجادها ، وقد كانت قبيل ظهور الإسلام تبسط نفوذها على نصف الكرة الأرضية الشرقى ·

٢ - كان بعض العرب عمَّالاً للفرس ، وجعل ملك المناذرة فيهم ، وكان كثير من الشعراء ، وأهل السفارة ، والوفاة يلمُّون بالمناذرة ، لشتى الأغراض ...

٣ - بسطت فارس نفوذها على العراق العربى ، واستنزفت خيراته ردَحًا من الزمان ، وترتب على ذلك الاختلاط ، والمعايشة ، والأخذ ، والعطاء ...

٤ - تجارة الفرس التى كانت تجوب البلاد العربية فى حماية عرب أقوياء على امتداد طريقها : ذهابًا ، وعودة ، فانتشرت أسماء المسميات الداخلة ، والواردة ...

٥ - الفرس : أمة غنى ، ورفه ، وأثاث ، ورياش ، وزينة ، وقد صدرت عنها إلى البلاد العربية خيراتها ، وأدواتها ، وتجاراتها ...

٦ - بسطت فارس نفوذها على اليمن العربية فترة من الزمن ، جعلت لغتها تنتشر فى تلك الربوع ، والأصقاع ...

بهذه العوامل ، وبغيرها كان للغة الفرس انتشار ، أدى إلى أخذ اللغة العربية منها مجاراة لطبائع الأشياء ، ومسايرة للسنن الكونى ...

خامسا :

السُّريانيَّة :

هاجر حوالى سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد من شبه الجزيرة العربية قوم يعرفون بالآراميين إلى بلاد العراق ، ونما عددهم .

وعرف الذين سكنوا أسفل العراق بالكلدانيين ، والذى سكنوا أعـلاه بالسُّريانيين .

وقد أقام كل من الفريقين ملكا ، وأسس حضارة :

فالكلدانية فرع من الآرامية ، والسريانية : هى لغة الآراميين الذين أقاموا بأعالى العراق ، وشمال سورية :

ومن ذلك نقول :

١ - اللغة السريانية تفرعت عن اللغة السامية ، وبذلك يكون التقارب فى النشأة ، مما يترتب عليه الأخذ ، والعطاء ، والصدور عن جهة واحدة ...

٢ - القرب المكانى من مواطن اللغة العربية ...

٣ - تبادل المنافع ، والخيرات بين البلاد المتقاربة ، والمتجاورة ...

سَادسًا :

الرُّومية :

الروم : كانوا يسيطرون على نصف الكرة الغربى من الأرض ، وكانت لهم حضارة تعود إلى الديانة المسيحية ، وما يحدثه الدين فى نفوس البشر ، وطَرائق معايشهم ، وضربهم فى الأرض ، وعلاقاتهم بالأمم المجاورة ، . . . . . .

وفى القرآن الكريم سورة منه هى « الرُّوم » وقد أخبر القرآن بالغيب بأن الروم غلبوا أمام الفرس ، وسيَغْلبُون بعد ذلك . . .

وقد أحدثت السورة الكريمة ارتياحا فى نفوس المسلمين ؛ لأن الدائرة ستدور على المجــوس ، وتحالف الغلبــة أمة الروم التى تمت إلى الديانة المسيحيــة بعرق وثيق . . .

وتعود الأسباب إلى العوامل الآتية :

١ - **الروم** : أمة لها ماضيهـا الحضارى ، وتحدث القرآن الكريم عن أهل الكهف ، ومدى حرصهم على عبـادة ربهم ، وتوحيده ، وتحمل الآلام فى سبيل ذلك .

٢ - أمة لها كتاب وتؤمن برسول كريم قبل الإسلام ، لابد من أن يكون لها أخذ ، وعطاء فيما يجاورها ، وتعبر تعاليمها . وحضارتها الآفاق . . .

٣ - مجاورة الروم لعرب الشام ، وبسط نفوذهم على كثير من البلاد ، واتخاذ مملكة الغساسنة ، على نمط مملكة المناذرة ، لصد غارات العرب ، وهجماتهم على أطراف البلاد . . .

٤ - تبادل التجارات ، والوفود ، مع أمة العرب . . وغير ذلك .

٥ - كتابها المنزل على رسولها العظيم تتسرب ألفاظه للغات المجاورة . . .

٦ - أسماء مسميات التجارة التى تدخل البلاد بأسمائها . . .

٧ - أسماء عملاتها الرسمية . . .

كل ذلك ، وغيره جعل للغة الرومية قسطا وافرا من الكلمات المعربة التى اشتمل الذكر الحكيم على بعضها .

سابعًا :

القبطيه :

قبط مصر لهم حضارة فى فنون كثيرة ؛ كالبناء ، والتحنيط ، والطب ... وغير ذلك ، كما كان لهم اتصال بالحضارات المجاورة ...

من ذلك :

١ - وفادة أبى الأنبياء إلى مصر ، وتعظيمه بين ربوعها ...

٢ - إهداء أميرة من أميرات القصْر لسـارَّة ، وهى هاجر أم سيدنا إسمـاعيل (عليه الصلاة ، والسلام) أبى عرب الشمال ...

٣ - رسالة سيدنا يوسف الصديق (عليه الصلاة ، والسلام) وحكمته العالية فى العبور بالبلاد إلى بر الأمان ، واتقاء شر مجاعة محققة فى السنين العجاف ...

٤ - رسـالة سيدنا موسى (عليه الصـلاة ، والسـلام) ومعه وزيره العظيم (هارون) (عليه الصلاة والسلام) لفرعون ، ولتخليص بنى إسرائيل من قبضة الفراعنة .....

٥ - نبوغ المصريين فى كثير من الصناعات ، ومن ذلك الحرير القبطى ، الذى كانت تكتب عليه المعلقات بماء الذهب ، وتعلق على أستار الكعبة ، وغير ذلك ..

٦ - اختلاط لغه الهكسوس ، الرعاة العرب باللغة القبطية فترة بسط نقود الهكسوس على مصر ...

هذه الأسباب ، وغيرها : جعلت للغة القبطية انتشارا أخذت اللغة العربية منه بنصيب ... واستعملته استعمال ألفاظها ...

واشتمل الذكر الحكيم على ألفاظ منها ...

وتلك سنة الله تعالى فى كونه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

والتعليل المتقدم يمكن أن يضاف إليه ...

وقد عللنا لأكثر البلاد ، والأمم تأثيرا ...

ويمكن التعليل لما بقى ، فى ضوء التعليل المتقدم ...

ونأخذ مما تقدم ما يلى :

١ - اللغة العربية لم تعش بمعزل عن دنيا الله ، وإنما اختلطت - على حسب الدوافع ، والمقتضيات - وأثرت ، وتأثرت ...

٢ - القرآن بلسان عربىّ ، وقد جرى على سنن العرب فى أساليب لغتهم ، حتى يثبت الإعجاز ، ويأتى دور التحدِّى ، وليكون القرآن من عند الله تعالى ٠

٣ - **القرآن الكريم** : أخذ من جميع الأمم المعاصرة قبل نزوله ، والتى اختلطت بأمة العرب أى اختلاط ٠٠٠

بعد أن صارت الألفاظ مهندسة هندسة يقبلها اللسان العربى ٠٠٠

وقد كان الأخذ من الألفاظ مسايرا لقوَّة الاختلاط ، أو ضعفه ٠٠٠

٤ - جبر القرآن الكريم خاطر كل الأمم ، واللغات ، ولو بكلمة واحدة ، حتى يثبت الإعجاز ، وتتآلف القلوب ، ويقبل أصحاب اللغة على الإيمان بالله ربًّا ، وبالرسول رسولاً ، وبالقرآن كتابًا ، وبالشريعة منهجًا ٠٠٠

وقبل ذلك نقول :

إن الله تعالى يَهْدى للإيمان به من اختارهم أزلاً ، وجعل قلوبهم رقيقة ، وهداهم إلى الإيمان به ٠٠٠

وصدَّ عن الهداية أقوامًا ، لهم قلوب أشد قسوة من الحجارة ٠٠٠

« ولله الأمْر من قبلُ ، ومن بَعْدُ »

* * *

خاتمة

نسأل اللهَ (عز وجل) حسنها :

هذا ما وفقنى ربى لجمعه ، وإعداده ، وعَرْضه ٠٠

فإذا كنت قد وفِّقت فذلك من الله (عز وجل) الذى يهدى مَنْ يشاء لما يشاء ، فالفضل منه ، وإليه ، وإن كانت الثانية ٠ فالخير أردت ، وقد اجتهدت ، ﴿ وما تَوْفيقي إلاَّ بالله عَلَيْه توكلْتُ ، وإلَيْه أُنيبُ ﴾

د/عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد
دكتوراه بمرتبة الشرف الأولى من كلية اللغة
العربية بالقاهرة - جامعة الأزهر الشريف
آداب قنا - جامعة أسيوط (سابقا)
عميد معهد عال (سابقا) ت ٩٦/٣٢٣١٧٢ قنا

كتب للمؤلف

رقم	الكتــــــاب	النشر والتوزيع
١	شرح ابن النــاظم ، لألفية ابن مـالك (شــرح ، وتعليق ، وتحقيق ٠٠٠	
٢	الطريق المعبد إلى علمى الخليل بن أحمد (العروض،والقافية) ٠	
٣	الكواكب الدرية فى الشواهد النحوية (أربعة أجزاء)	
٤	بلوغ الأرب فى الواو فى لغة العرب ٠	
٥	كتاب الباء ٠	
٦	شرح وتحقيق شرح ألفية ابن مالك للهوارى الأندلسى ٤ مجلدات	
٧	شرح وتحقيق شرح ألفية ابن مالك للأشمولى ٤ مجلدات	
٨	مفتاح الأعراب ٠	
٩	التنوير فى التصغير ٠	
١٠	النَسَب ٠	
١١	تصريف الأفعال ٠	
١٢	الضياء فى تصريف الأسماء (تحت الطبع) ٠	
١٣	المقال فى الإعلال ، والإبدال (تحت الطبع) ٠	
١٤	امتاع الطرف فى تيسير الصرف (١، ٢)	
١٥	طريق الهدى فى تيسير قطر الندى ٠	
١٦	البهجة المرضية فى تيسير الأزهرية ٠	
١٧	تيسير التيسير ٠	
١٨	سيدى عبد الرحمن القناوىّ ٠	
١٩	التبيان فى تفسير قول الرحمن « ٠٠٠ ووضع الميزان ٠ »	
٢٠	المهذَّب : فى محاسن ، وخصائص اللغة العربية ، ومافى القرآن من المعربّ ٠	
٢١	توضيح التوضيح فى شرح ابن عقيل للألفية (٤ أجزاء) ٠	قريباً إن شاء الله
٢٢	س ، جـ فى شرح ابن عقيل للألفية (٤ أجزاء) ٠	قريباً إن شاء الله

الفهرس

رقم الايداع ٢٩٥٨/٩٥

الأمل للطباعة والنشر ت: 3904096